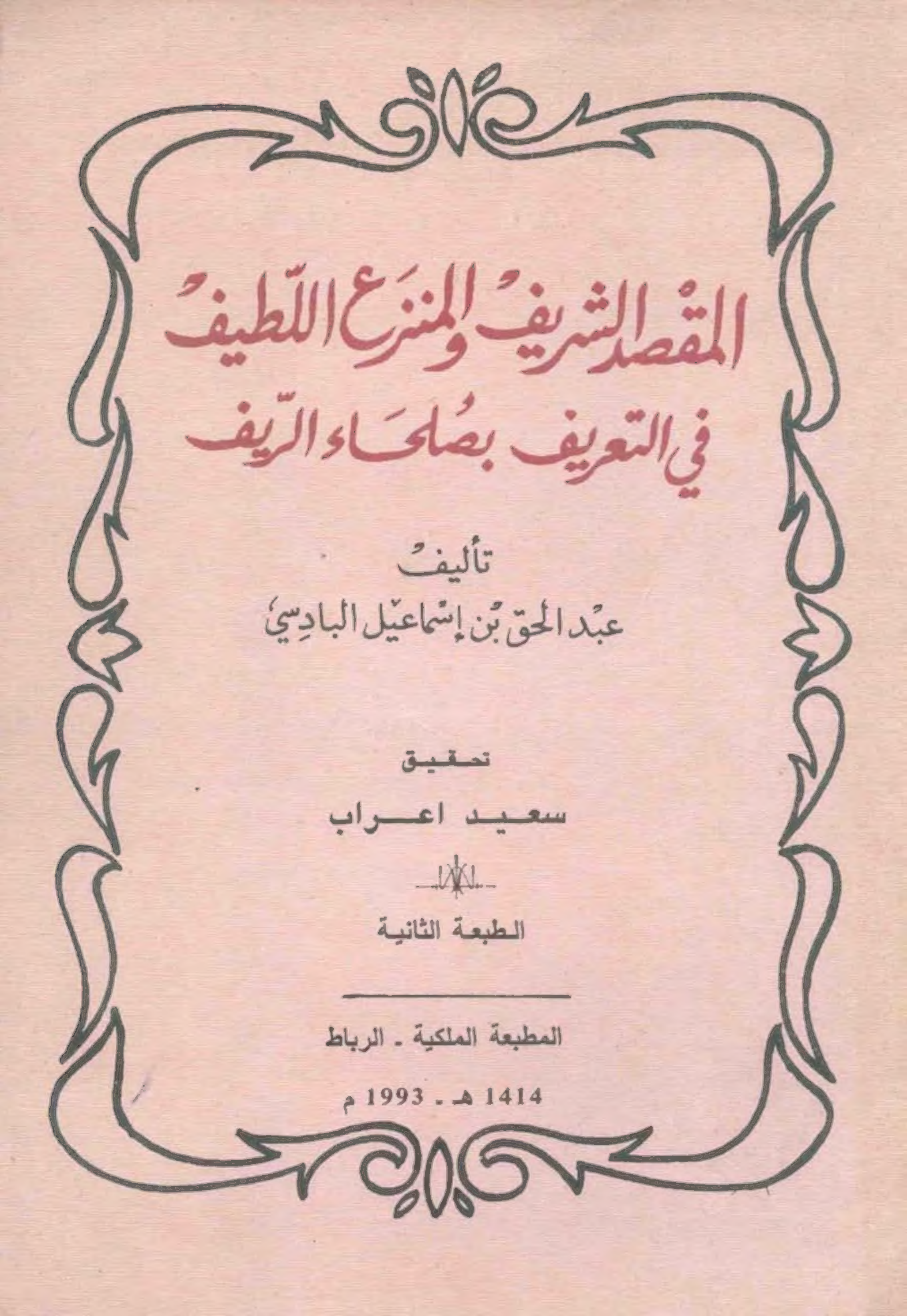


# المقصد الشريف والمنزع اللطيف
# في التعريف بصلحاء الريف

تأليف

عبد الحق بن إسماعيل البادسي

تحقيق

سعيد اعراب

الطبعة الثانية

المطبعة الملكية - الرباط

1414 هـ - 1993 م

# المقصد الشريف والمنزع اللطيف
# في التعريف بصلحاء الريف

تأليف
عبد الحق بن إسماعيل البادسي

تحقيق
سعيد اعراب

الطبعة الثانية

المطبعة الملكية - الرباط

1414 هـ - 1993 م

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

لعل اول من ارخ للتصوف ورجاله بالمغرب ، هو (*) يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات في كتابه الموسوم بـ « التشوف الى رجال التصوف » وقد اهتم اكثر بصلحاء الجنوب ، ووقف عند حدود سنة ( 517 هـ ـ 1123 م (1) ) ثم جاء بعده عبد الحق البادسي ، فارخ لرجالات شمال المغرب واسماه « المقصد الشريف والمنزع اللطيف ، في التعريف بصلحاء الريف» (2) . ويحدد الفترة التي ارخها بما بين زمن ابي مدين ، والعصر الذي عاشه المؤلف ـ اي من حدود منتصف القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي ، الى اوائل الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ـ وجعله كصلة لتشوف ابن الزيات ( فرأيت تتميم صلته ، وتنظيم فيصلته (3) )

---

*) حذفت المطبعة الكنى المقترنة بالأسماء الواردة في هذا الكتاب رفعا لكل التباس ، وهو التصرف الوحيد الذي قامت به

1) انظر التشوف ص 13

2) هكذا بهذا العنوان الطويل ، جاء في بعض النسخ ، وهو الذي ذكره صاحب بيوتات فاس ص 91

3) انظر المقدمة ص 7 .

## المؤلف

والمؤلف هو عبد الحق بن اسماعيل بن احمد بن محمد بن الخضر البادسي الغرناطي ، ينتهي نسبه الى قيس بن عبادة الخزرجي استوطن احد اجداده غرناطة ، وانتقل جده الأعلى الى بادس ، وبها ولد عبد الحق في حدود منتصف المئة السابعة للهجرة ( 650 هـ ـ 1252 م )

أخذ عن والده (4) ، وجماعة من شيوخ بلده وتردد على فاس ، وسمع من مشايخها ، وممن اخذ عنهم بها ، ابو ابراهيم الأعرج الورياغلي (5) ؛ كان المترجم عالماً ، ومحدثاً مسندا ، ومؤرخاً نسابة (6) يميل في كتاباته الى السجع ، ويتكلف الشعر ؛ لم أقف على وفاته ، وكان سنة ( 722هـ ـ 1322م ) على قيد الحياة ففي هذه السنة ـ بالضبط ـ ورد على فاس ، فسمع منه كتابه «المقصد الشريف » جماعة من شيوخها ، منهم عبد المهيمن الحضرمي ( الصغير ) ، وابو عمر ، ويحيى بن ابي طالب اللخمي العزفي ، وآخرون (7)

## آثاره

ولا نعرف من آثار المؤلف الا كتابين اثنين

احدهما « طبقات الأولياء » اشار اليه في ترجمة ابي الحسن المراكشي الآتي ذكره (8)

والآخر « المقصد الشريف » الذي نقوم بتحقيقه ، وقد ضمنه مقدمة وثلاثة اقسام ، ذكر في المقدمة الأسباب التي دعته الى تاليف هذا الكتاب

---

4) ستاتي ترجمته عند المؤلف رقم 35

5) تاتي ترجمته للمؤلف رقم 23

6) انظر بيوتات فاس ص 88 ـ 91

7) نظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 100 د .

8) انظر ص 53 .

( ثم ان الأديب المتفنن يوسف ابن الزيات ، اتى في كتابه الموسوم بـ « التشوف الى رجال التصوف » بآيات لكنه غفل فيما أثـره من الحسن والاحسان عن الريف الكائن بين سبتة وتلمسان (9) فرأيت تتميم صلته ).

وتحدث في القسم الأول عن المقامات والكرامات ، وضمنه اربعـة فصول

1 ـ في الولاية والولي

2 ـ في الفقر والفقير

3 ـ في بيان مفهوم التصوف

4 ـ في اثبات كرامات الأولياء

وخص القسم الثاني للحديث عن حياة الخضر عليه السلام

اما القسم الثالث (10) ـ وهو المقصود بالذات ـ فعرف فيه بالمشايخ من صلحاء الريف واورد 46 رتجمة فرغ منه سنـة ( 711هـ ـ 1311م ) وقد استغرق وقت تاليفه نحو سنة ، ابتدأه في صدرها ، وانجزه في آخرها على حد تعبيره (11)

## منهجه

ومنهج المؤلف في الكتاب ، ان يحلي المترجم بالحلى التي تناسبه ، ويذكره بالمقام الذي وصل اليه ، ويعقب على ذلك بقوله : وقد قيل ان التصوف كذا وكذا ، صنيع آبي نعيم في الحلية ، كل ذلك بأسلوب مسجوع ثم تخلص

---

9) انظر ص 6 ـ 7

10) وقد اعتنى المستشرق الفرنسي جورج كولان بترجمة هذا القسم الى اللغـة الفرنسية ونشره ضمن مجموعة الوثائق المغربيـة في الجـزء السادس والعشريـن المطبوع بباريس سنة 1926 م .

11) انظر ص 15

للحديث عن ذكر موطن المترجم ، والقبيلة او المدينة التي ينتمي اليها بأسلوب مرسل ، ويذكر المدارس التي قرأ فيها او الزوايا التي تتلمذ بها ، والشيوخ الذين اخذ عنهم ، وما له من تلاميذ ومريدين ، والكرامات التي شوهدت له او رويت عنه ، وربما اشار الى تاريخ مولده ووفاته

وقد التزم عقب كل ترجمة ابياتا ضمنها ما للمترجم من مناقب وحلى صنيع يوسف ابن الزيات ، فهو قد جمع بين المنهجين منهج ابي نعيم في الحلية ، ومنهج ابن الزيات في التشوف

## قيمته

وتبدو اهمية « المقصد الشريف » في انه حلقة مفقودة في تاريخ التصوف بالمغرب ، وهو تصوف نقي ، لا اثر فيه للشطحات ، ووحدة الوجود ، لولا ما فيه من مبالغات في بعض الكرامات ، فهو الى تاريخ النساك والزهاد اقرب منه الى التصوف ، ولعل ذلك ما لمح اليه في تسميته بـ « المقصد الشريف ، والمنزع اللطيف ، في التعريف بصلحاء الريف »

وقد قال فيه صاحب بيوتات فاس انه تاليف عجيب ، حسن في بابه ، صغير الحجم ، كبير القدر ، غريب الوضع ، شهير الذكر (12)

والكتاب - الى جانب ذلك - وثيقة تاريخية لها اهميتها ، فقد عرض لأحداث بني وطاس ، والعرب المتغلبين على بلاد الريف اواخر العصر الموحدي ، والقرصنة التي كانت تمارسها الصليبية في البحر الأبيض المتوسط لهذا العهد ، وغير ذلك ، مما لا نجده في كتاب سواه

وهو كذلك معجم جغرافي ، حدد قبائل الريف بأسمائها ، ومواطنها ، تحديداً دقيقاً مما سيجعل القاريء يعيد النظر في كثير من الحقائق التي

---

12) انظر ص 92 .

اوردها ابن خلدون في التاريخ او المقدمة وقد اشرت الى بعض ذلـــك في حواشي الكتاب

## النسخ الخطية ومنهج التحقيق

النسخ الخطية التي يقوم عليها تحقيق الكتاب اربع

1 ـ نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط رقم ( 1853 ـ د ) وتقع في 51 ورقة من القطع الوسط ، مقياسها 15/20 ، ومسطرتها 26 سطرا معدل السطر الواحد 15 كلمة كتبت بخط مغربي واضح فرغ منها ناسخها فـي 11 جمادى الآخرة سنة 1095 هـ ، وهي فرع من نسخة الأم التي استنسخهـــا المؤلف من مسودته بعد تحريرها واعادة النظر فيها وزيادة بعض ابيات فيها برسم خزانة الرئيس عبد العزيز بن ابي العلاء صاعد الجهني بمدينة فاس وهو اذذاك واليها مضافاً اليهـــا مدينة سلا كما جـاء فـي آخر النسخة (13) ، ونرمز اليها بحرف (أ) وقد جعلتها الأصل

2 ـ نسخة ثانية بالخزانة العامة بالرباط رقم ( 100 2 ) ونرمز اليها بحرف ( ب ) ، وهي مبتورة الأول والأخير ، تبتديء هكذا ( جملة كافية ، ونسباً من الكرامات وافية ) ومجموع اوراقها 15 ورقة من القطع الكبير ، كتبت بخط رديء ، ويبدو ان هذه النسخة فرع عن نسخة الشيخ عبد المهيمن الحضرمي ( الصغير ) ، وقد جاء في خاتمتها الحمد لله وحده يقول عبـد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ، كنت لقيت صاحبنا الفقيه الأديب عبد الحق بن اسماعيل بن احمد البادسي بمدينة فاس البيضاء حرسها الله بدوام سلطانها فسمعت عليــه من كتابه الذي اسماه « المقصد الشريف ، في التعريف بصلحاء الريف » من اوله الى آخر ترجمة ابراهيم وذلك نحو ثلثيه وبعضه بقراءة الفقيـــه الحسيب ابي عمر يحيى بن ابي طالب عبد الله بن ابي القاسم اللخمي العزفي

---

13) انظر ص

عليه ، وفاتني باقي سماع الكتاب ، لاعجال السفر عنه ، ثم لقيت الفقيه ابا محمد المذكور بفاس مرارا فلم اقرأ الكتاب معه ، الى ان وصل الى منزلي من مدينة فاس القرويين حرسها الله في يوم الاحد الثامن من سنة اثنتيْن وعشرين وسبعمئة فأكملت عليه قراءة الكتاب المذكور ، وكمل لي بذلك سماع جميعه وكان سماعي الثلُثيْن المذكور اولا بقراءة المؤلف وقراءة ابي عمر - في العشر الآخر من شهر ربيع الأول المبارك سنة 722 هـ

3 - نسخة خطية ثالثة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ( 1419 - د ) ونرمز اليها بحرف (ج) تقع في 60 ورقة ومسطرتها 20 سطرا كتبت بخط مغربي جميل للغاية انتسخت حديثا سنة 1314 هـ على يد كاتبها محمد بن قاسم بن عبد الله البادسي

4 - نسخة الوجيه اليزيد بن صالح ، ونرمز اليها بحرف (ص ) تقع في 46 ورقة من القطع الوسط ، كتبت بخط نسخي واضح ، فرغ منها ناسخها محمد بن الطيب ابن صالح في 27 من ذي القعدة عام 1205 هـ ، مقياسها 14/20 ، ومسطرتها 24 سطرا معدل كل سطر 16 كلمة

اما منهج التحقيق ، فقد كانت اولى محاولاتي البحث عن النسخ الصحيحة من الكتاب ، واول نسخة عثرت عليها هي نسخة (ص) ، فقد زرت ذات مرة خزانة باشا تطوان - سابقا - اليزيد بن صالح ، فلفت نظري وجود نسخة كاملة من كتاب المقصد الشريف ضمن مجموع ، فاستعرتها من صاحب الخزانة فتفضل - رحمة الله عليه - فأعارني اياها فانتسختها وكنت عقدت العزم على ان اجعلها الأصل ، حتى وقفت بالخزانة العامة بالرباط على نسخة تعتبر الفرع الاول لنسخة الأم كما اشرت الى ذلك آنفا ، فقابلتها معها وعارضتها بباقي النسخ ، والظاهرة التي تميز هذه النسخ جميعها كثرة التصحيف والتحريف ، وقد حاولت - ما استطعت - تقويم النص ، وارجعت بعض النصوص الى اصلها ، ولم ارد ان اثقل الكتاب بالشروح والحواشي الا ان طبيعة النصوص التي تضخم بها القسمان الأولان من الكتاب ، اقتضت منا بعض تعاليق ، لذا نجد القسم الثالث الذي اختفت منه

هذه النصوص او كادت قد خفت فيه التعاليق الا ما لا بد منه ، وربما ترجمت لبعض الأعلام تراجم مقتضبة مكتفيا بالاحالة على مصادرها

وقد ذيلت الكتاب بتراجم مفصلة ، تلقي اضواء كاشفة عن موضاعاته واهم محتوياته وهي كما يلي

1) فهرس الموضوعات

2) فهرس الآيات

3) فهرس الأحاديث

4) فهرس المصطلحات الصوفية

5) فهرس الأعلام

6) فهرس القبائل والشعوب والطوائف

7) فهرس البلدان والأماكن

8) فهرس الأبيات الشعرية

9) فهرس الكتب الواردة في المتن

10) فهرس مصادر التحقيق

ولا اريد ان اضع القلم دون ان اقدم شكري وامتناني للأستاذ الكبير مؤرخ المملكة الأخ عبد الوهاب ابن منصور ، الذي حثني على اخراج الكتاب ، وتكرم بطبعه خدمة للعلم واهله

والله اسأل ان يتقبل عملنا ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، ويهدينا سواء السبيل انه ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير

**تطوان** 23 رجب 1401 هـ ـ 28 ماي 1981 م

**سعيد اعراب**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم على عباده المحققين، بعوارف معارف اليقين، جاعلهم في جميع احوالهم من الصادقين، الفائزين باثار الصديقين (1) وايثار المتصدقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام المرسلين، السابقين المسابقين، وقدوة المخلصين المتقين المؤمن بهديه خوف الفرقين (2) والجامع شمل المفترقين؛ والرضى عن اصحابه المرفقين، المنفقين المشفقين النجباء المعربين، القاطعة بلاغتهم فهاهة المتفيهقين، الثرثارين المتشدقين (3)، الرافعة كراماتهم شكوك المتزندقين

وبعد، فان علماءنا المتقدمين ـ رضي الله عنهم ـ قد اعتنوا بما ظهر لسالف هذه الأمة من الكرامات ومهدوا القواعد التي قامت عليها اصول المقامات (4)، وفسروا ما غمض من إشاراتهم، وكشفوا عن خفي عباراتهم، ونقلوا ما صح من كراماتهم، كالامام الأوحد ابي القاسم القشيري (5)

---

1) المصدقين ا ب

2) الفرقين الخائفين

3) اشارة الى حديث وان ابغضكم الي، وابعدكم مني في الآخرة، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون اخرجه احمد في المسند 193/3

4) جمع مقام، وهو عبارة عما يتوصل اليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف كما يقول الجرجاني في التعريفات ص 203، وانظر الرسالة القشيرية ص 32 واللمع للطوسي 65، وعوارف المعارف للسهروردي 469

5) عبد الكريم بن هوازن شيخ خراسان في عصره ( ت 465 هـ 1072 م ) من مؤلفاته « الرسالة القشيرية » في التصوف انظر ترجمته في تاريخ بغداد 83/11، ووفيات الاعيان 375/2، وطبقات الشافعة الكبرى للسبكي 243/3 .

والعلامة الأعرف ابي طالب المكي (6) ، والحافظ المحافظ ابي نعيم الاصبهاني (7) ، والواعظ الفصيح ابي الفرج الجوزي (8) رضي الله عنهم وارضاهم ، لما اختصهم به وارتضاهم ؛ وكلهم انما ذكروا اهل المشرق المشرق ، غير معرجين على اهل المغرب المغرب (9) ، ثم ان الأديب المحسن المتفنن يوسف ابن الزيات (10) ، اتى في كتابه الموسوم بـ « التشوف الى رجال التصوف » بآيات وذكر ان الحامل له على تاليف ذلك الكتاب ، ما أهمله من تقدم من المصنفين والكتّاب ، من ذكر صلحاء المغرب الأقصى (11) الذي تتبع ذكر محاسنهم وتقصّي وان يظن ظانّ ان صقع المغرب من الأولياء شاغر (12) ، لم يفغر فكى فيه بحقيقة صوفية فيه فاغر (13) ، فذكر فيه جملة من صلحاء المغرب بأدب بارع وشأن مغرب ، وبالغ في ذكر

---

6) محمد بن علي بن عطية الحارثي ، واعظ زاهد من اهل الجبل ( بين بغداد وواسط ) ، نشأ واشتهر بمكة ، ولذا يلقب بالمكي ( ت 386 هـ 996 م ) ، من مؤلفاته « قوت القلوب » انظر ترجمته في تاريخ بغداد 89/3 ، ووفيات الأعيان 430/3 ، وميزان الاعتدال 107/3

7) احمد بن عبد الله الاصبهاني ، حافظ مؤرخ ( ت 436 هـ — 1038 م ) من مؤلفاته « حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء » في عشر مجلدات ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 75/1 وميزان الاعتدال 1 52 وطبقات السبكي 7/3

8) عبد الرحمان بن علي الجوزي ، علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف ، من مؤلفاته « تلبيس ابليس » وقد هاجم فيه المتصوفة هجوما عنيفا ، وارجع — ان شئت — الى ص 364 — 373 ، ( ت 597 هـ 1201 م ) ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 321/2 والبداية والنهاية 28/13 ، ومفتاح السعادة 207/1 ، ودائرة المعارف الاسلامية 125/1

9) المشرق الأولى — بفتح الميم — يعني اقطار المشرق ، والمشرق الثانية — بضم الميم — من اشرق اذا انار واتضح فعرفه كل الناس ، وكذلك المغرب الأولى — بفتح الميم — القطر المغربي ، والمغرب الثانية — بضم الميم — من اغرب اذا ابعد في الغربة فلا يكاد يعرفه احد

10) يوسف بن يحيى بن عبد الرحمان التادلي مؤرخ اديب ( ت 627 هـ 1229 م ) انظر ترجمته في نيل الابتهاج لأحمد بابا 352 ، والسعادة الأبدية لابن المؤقت 147/1

11) كلمة ( الاقصى ) ساقطة في ص ب

12) شاغر خال

13) لم يفغر فكي فيه : لم يفتحهما — يعني لم ينطق بحقيقة ثابتة .

المصامدة ، مهظراً لكل شيخ محاسنه ومحامده (14) ، ولم يعرج في تلك الأحياء ، على ذكر احد من الأحياء ، وجعل المنتهى ، فيما اليه انتهى ، سنة ست عشرة (15) وستمئة (16) وغفل فيما آثره من الحسن والاحسان عن الريف الكائن (17) ما بين مدينتي سبتة (18) وتلمسان (19) ولعل ذلك لبعده من مكانه ، وعدم اتصاله بأحد من سكانه فانطمس عليه معرفة ابنائه وعز لديه تسوغ اخبائه وقد كان استقر بالريف المذكور في سائر الأزمنة كل مشهور مذكور ، لم يقصر في جده عن الأكابر ، المشتهرة (20) ولايتهم في الزمن الغابر ، فرأيت تتميم (21) صلته (22) ، وتنظيم فيصلته ، بذكر من كان ببلاد الريف ، من ولي يجب به التعريف ، حتى (23) يعلم انه كان بريفنا المهمل ، من احسن في الطاعة واجمل ، ولو ان ابن الزيات انتشر ، او عاينه في المحشر ، لقال وانشد نصيحاً لمَن اشترشد قول المعري

---

14) انظر المقدمة ص (    )

15) يعني انتهى الى ذلك في الاعلام الذين ترجم لهم والا فهو قد فرغ من تأليف كتابه هذا سنة ( 617 هـ ) كما جاء التصريح بذلك في بعض نسخ الكتاب

16) جملة ( وجعل المنتهى    وستمئة ) ، ساقطة في أ ص

17) ( ما ) ساقطة في ج ص

18) يعني سبتة وما حولها بما في ذلك طنجة وقد ترجم لعمر الطنجي وكانت طنجة لهذا العهد تابعة لسبتة انظر الاستقصا 134/3

19) لا ادري وجه ذكر تلمسان هنا فهو حسب التراجم التي ذكرها لم يتجاوز حدود وادي ملوية على ان تلمسان لهذا العهد ـ وهو وقت تأليف الكتاب ـ لم تكن بيد السلطة المغربية ، بل كانت تحت نفوذ ابي حمو من بني يغمراسن ولاتها ولعل سجعة الاحسان ، هي التي اقحمت كلمة تلمسان ، والأولى ان لو قال ما بين طنجة ووادي ملوية

20) المشتهرين ب ج

21) ان اتمم ب ج

22) يلمح بهذا الى انه جعل كتابه صلة وتكملة للتشوف فهي تسمية ثانية للكتاب

23) ( ليعلم من وقف على هذا المختصر ) ب ج

وعلي ان اقضى الفوائت بعد مـا    فانت اذا لم اقضها في وقتها (24)

وسميت (25) هذا الكتاب ، المرجو من الله به حسن المآب بـ « المقصد الشريف والمنزع اللطيف (26) في التعريف بصلحاء الريف » ، ابقى الله ذكرهم عتيد التشريف ، وربما قد كان لأحدهم شيخ بالمشرق فيذكر من اجله ، او رأى في رحلته اليه كرامة آذنت بافعام سجله ، والبداءة في ذلك بمقدمات ، تزيل الشكوك المبهمات بذكر الكرامات وبعض المقامات ، وحياة الخضر - إنذاك - من آكد المهمات ويتلو ذلك كل ما تيسر من ذكر كل ولي بين زماننا (27) هذا ، وزمن الشيخ العارف ابي مدين (28) ، فيتحصل المقصود ، من طالع كوكب السعد المرصود ، في ثلاثة اقسام ، لثغره البسام ، عن ثنايا الحسن ابتسام القسم الاول في المقامات والكرامات ، القسم الثاني في اثبات حياة الخضر ، القسم الثالث في ذكر المشايخ وقد رسم ابن الزيات في كتابه (29) الذي سقى الحسن يانعه وناضره ابياتاً من الشعر لغيره على وجه المثل والمحاضرة ؛ فاقتضبت ابياتاً عقب كل شيخ تناسب احواله كل المناسبة ، وتطابق حالته المرضية ومكاسبه وجعلتها لزومية الروي ، جارية على الصراط السوي موافقة للخبر المحكى المروي ، ومن الله تعالى اسأل التوفيق والتيسير فيما قصدته من التوجه الى ذلك المسير

---

24) وجاء هذا البيت في رواية اخرى هكذا

وعلي ان اقضى صلاتي بعد مـا    فاتت اذ لم آتها في وقتهـا

انظر ديوان سقط الزند ص 29 ، نشر دار صادر - بيروت

25) سميته ج ص

26) عبارة ( والمنزع اللطيف ) ساقطة في ا ص

27) يعني اوائل القرن الثامن الهجرى ( 711 هـ ) وهو تاريخ تأليف هذا الكتاب.

28) شعيب بن الحسين ، المعروف بأبي مدين الغوث ، عاش النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وكانت وفاته سنة ( 594 هـ - 1197 م ) انظر ترجمته في التشوف لابن الزيات 316 ، وجذوة الاقتباس لابن القاضي ، ونيل الابتهاج 127 ، والطبقات للشعراني 154/1 - 156

29) ( كتابه ) ساقطة في : ا ص .

# القسم الاول

## في المقامات والكرامات

وفيه فصول

# الفصل الأول في الولاية والولي

الولاية في اللغة على وجوه ، واصلها الموالاة ، والولي قيل فيه فعيل بمعنى مفعول ، وهو من تولى الله امره ، قال تعالى «وهو يتولى الصالحين» (1) فالله تعالى يتولى رعايته وحفظه فلا يكله الى غيره لحظة عين ، ولا يهتم بشيء ، قال الله تعالى « ألا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (2) ، وقيل الولي فعيل بمعنى فاعل ، وهو من تولى عبادة الله وطاعته على التوالي ، من غير ان يتخلل طاعته معصية (3) ، فشرط الولاية الاستقامة ، قال تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة » (4) ، الى قوله تعالى « وفي الآخرة » ، والاستقامة شرط في التوبة ، قال تعالى « فاستقم كما امرت ومن تاب معك » (5) ، اي من رجع من الكفر الى الايمان ، واصل التوبة الرجوع فمن رجع من شيء الى شيء فقد تاب ، فالتوبة من الكفر مناسبة للتوبة من الذنوب وللاسلام ، ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له (6) ، وقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله (7) ، فمن رجع عن المعصية الى الطاعة فقد تاب ، ومن رجع من الكفر الى الاسلام فقد تاب ، والاستقامة التمادي على ما امر به من اداء الفرائض ،

---

1) الآية 196 سورة الاعراف

2) الآية 63 سورة يونس

3) انظر في معنى الولاية الرسالة القشيرية 160 والتعريفات للجرجاني 127

4) الآية 30 سورة فصلت

5) الآية 112 سورة هود

6) رواه ابن ماجه في الزهد ج 562/2

7) رواه احمد في المسند 199/4

واجتناب المحارم ، والمراقبة شرط في صحة الولاية ، فان العبد اذا علم ان الله تعالى مطلع عليه ، وناظر اليه ، استحيا ان يعصيه (8) ، وروى القشيري ان من جملة ما انتفع به سهل بن عبد الله التستري (9) رضي الله عنه ، في صغره ثلاث كلمات ، وهي الله حاضر معي ، الله ناظر الي ، الله مطلع علي وكان لقنه اياها خاله محمد بن سوار (10) ، وقال له احفظها وقلها عند نومك ، قال سهل فلما حفظتها وجدت لها حلاوة في قلبي ، ثم قال لي خالي يوما ياسهل فمن كان الله معه حاضراً ، واليه ناظراً ، وعليه مطلعاً ، كيف يليق به ان يعصيه ؟ وكان بعض المشايخ يؤثر تلميذا له ، فقال له في ذلك بعض اصحابه ، فجمع الشيخ تلامذته ، ودفع لكل واحد منهم طائراً وقال لهم ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه فيه احد ، فذهبوا عنه ثم عادوا اليه وكل واحد قد ذبح طائره الا التلميذ الذي كان يوثره عليهم قد رجع وطائره حي ، فقال له الشيخ لأي شيء لم تذبح طائرك كما فعل اصحابك ؟ فقال ياسيدي ، ما وجدت موضعاً اذبحه فيه ، لأنك قلت لي اذبحه في موضع لايراك فيه احد ، وما وجدت موضعا الا والله تعالى يراني ، فقال لمن عاتبه فيه لأجل هذا اوثره على غيره (11)

والولاية على ضربين ضرب خاص ، وضرب عام فالخاص قوله تعالى « ان وليي الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين » ، والعام ولاية الله للمومنين قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا » (12) ، وقال

---

8) انظر في معنى المراقبة الرسالة القشيرية 87

9) ابو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، احد ايمة القوم وعلمائهم ( ت 283 هـ - 896 م ) انظر ترجمته في طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي 206 وحلية الأولياء 189/1 ، والرسالة القشيرية 18 وطبقات الشعراني 9/1

10) من شيوخ سهل بن عبد الله التستري انظر خلاصة تهذيب الكمال ص 280

11) انظر القصة في الرسالة القشيرية ص 88 .

12) الآية : 257 سورة البقرة

« والله ولي المومنين » (13) الآيتان ، قال القشيري علامة الولي ثلاثة اشياء شغله بالله ، وفراره الى الله ، وهمه بالله (14)

قال ابو سعيد الخراز (15) ، رضي الله عنه اذا اراد الله ان يوالي(16) عبداً من عباده ، فتح عليه باب ذكره ، فاذا اشتد ذكره فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه الى مجلس (17) الأنس ، ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وادخله دار الفردانية ، وكشف له عن (18) الجلال والعظمة ، فاذا عاين ذلك بقي بلا هو ، فحينئذ يفني نفسه ويبرأ من دعاويها (19) ، قال الشيخ ابو الحسن علي بن محمد المراكشي (20) رضي الله عنه ، في كتابه الذي سماه بـ « مناقب الأولياء ، وصفة سلوك الأصفياء » الأولياء على ثلاث طبقات

**الطبقة الأولى** هم قوم لا يخرجهم الله تعالى عن الخلق ، ويكونون بين الناس ، لا يعرف ولايتهم الا الله تعالى (21) ، ومن انعم الله تعالى عليه ، وهم مفرقون في البلاد ، يرحم الله بهم العباد ، يشتغلون بما يشتغل به الناس من سائر الحرف والمكاسب ، ولا ياكلون الا من كد ايمانهم وهم اهل ورع في مكاسبهم ، وجميع احوالهم ، لا يكتسبون فتيلا الا من حله ، ولا يضعونه الا في محله ، يتمسكون بالكتاب والسنة ، لا يعدلون عن الصراط المستقيم

---

13) الآية 68 سورة آل عمران

14) انظر الرسالة القشيرية 160

15) احمد بن عيسى الخراز من اهل بغداد احد ائمة القوم ، ومن جلة المشايخ ( ت 279 هـ — 892 م ) انظر ترجمته في الرسالة القشيرية : 23 ، وطبقات الشعراني 92/1

16) في الأصول يولي

17) في الرسالة القشيرية مجالس

18) في الأصول عنه

19) الرسالة القشيرية 118 — 119

20) ستاتي ترجمته عند المؤلف

21) كلمة (تعالى) ساقطة في : 1 ب

طرفة عين من شدة المراقبة ، وهم مع الأمر والنهي وقوف ، ينهون عن المنكر ويامرون بالمعروف ، ويحفظون جميع جوارحهم من جميع ما نهى الله عنه من ذلك سمعهم وابصارهم وايديهم وارجلهم ، ثم يحفظون اسرارهم فيما بينهم وبين معبودهم ؛ ويحافظون على صلواتهم ، ويؤدون اماناتهم ، ويرعون حق جارهم ، ويوقرون كبارهم ، ويرحمون صغارهم ، ويشفقون على يتامى المسلمين ، ويطعمون المساكين ، ويفرجون كروب المعسرين ، من ظلمهم عفوا عنه (22) ، ومن قطعهم وصلوه ، ومن تعدى عليهم غفروا له (23) ، ومن استشارهم نصحوه وعلى الحق دلوه ، ومن منعهم اعطوه ومن سألهم شيئاً فيما فيه رضى الله تعالى فلا يردوه ، ومن غشهم لا يغشوه ، ومن جنى عليهم حملوه ، ومن اعرض عنهم تركوه ، ومن اراد معاشرتهم على وجه الاستقامة عاشروه (24) ، ومن ضرهم نفعوه وجوههم سمحة ، واخلاقهم حسنة لا ينظرون من هو اعلا منهم فيحسدوه ، ولا الى من ادنى منهم فيزدروه (25) ، ومن تهاون في امر دينه هجروه وابغضوه يحبون لله تعالى يبغضون لله تعالى ، ويصلون لله تعالى ، ويمنعون لله تعالى نهارهم صائمون ، وليلهم قائمون ؛ ألسنتهم ذاكرة ، وقلوبهم شاكرة واجسامهم صابرة لا يغرهم الزمان ، ولا تلعب بهم الأيام ، ولا يلتفتون الى ما كان ، وهم منتظرون الى كرم الرحمان لا يسرفون في نفقاتهم ويسترون عوراتهم ، ان رأوا عيبا ستروه ، وان رأوا صلاحاً اثنوا عليه وشكروه ، ولو كان لهم ملء الأرض ذهبا لم يمنعوه حقه ، وان ذهب من بين ايديهم لا يهتمون به ؛ همتهم الحق ، ونطقهم الصدق لا يُخلفون وعداً ولا يكذبون عمداً ولا يؤذون احداً ، ولا يغتابون الناس ، ولا يؤذنون الجلاس ، « سيماهم في وجوههم من اثر السجود » (26) ، نظروا بنور الايمان ، وقاموا على نفوسهم بالدليل والبرهان وعملوا على

---

22) عنه ساقطة في ا ج

23) غفروه ص

24) عشرون ا ف

25) فيزدرونه ا ج

26) الآية : 29 سورة الفتح

خلاص انفسهم بين يدي الملك الديان ، البشاشة في وجوههم ظاهرة ، لا يطلبون التكاثر ولا التفاخر ، قنعوا بما اعطوا ، ورضوا بما اوتوا ، إن نظروا كان نظرهم اعتباراً في مخلوقات الجبار ، وان تكلموا اضطراراً ، السنتهم مخزونة ، واورادهم من الطاعة معلونة ، الناس منهم في راحة ، قد منعوا عن انفسهم ، طلبوا من الله الزيادة فاعينوا ، غناؤهم بالله تعالى وفقرهم الى الله ومن الله ، نصحوا في الخدمة ، فاظهرت لهم النعمة ، عملوا بما علموا ، فأورثهم الله تعالى علم ما لم يعلموا ؛ اظهر لهم (27) الحق فاتبعوه ، وحماهم عن طريق الباطل فاجتنبوه ، لا يملأون بطونهم شيئاً ، يحسنون بالعيال ، ويرفقون بالممالك ؛ سعيهم الحلال ، خصالهم كلها محمودة ، لا يلهيهم الأمل ، مراقبون وقوع الأجل ، الموت بين اعينهم لا يزول ، هانت عليهم المصائب ، لا يبالون بالدنيا اقبلت ام ادبرت ، كانهم في الدنيا عابر (28) سبيل ، وهم في كل نفس يتجهزون الى الرحيل ؛ لا يغويهم الشيطان ، قد تولاهم الرحمان ، حماهم (29) عن جميع المنكرات ، وجنبهم الشهوات ، وصانهم من الشبهات ، ورفع لهم الدرجات ، وابعدهم عن السيئات ، واورثهم الجنات ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم « اولئك هم الوارثون الذين يرثونِ الفردوس ، هم فيها خالدون » (30) ، فاذا علم الله صدق معاملتهم معه ، سماهم رجالا في الملأ الأعلا ، ثم نقلهم من حال الى حال

**ذكر الطبقة الثانية منهم** ، وهم قوم لا يسكنون الى احد ولا يهدأون عن الانتقال من بلد الى بلد ، لا يشتغلون بمكسب اشغلهم (31) المسبب عن السبب ، ما لهم حرفة غير عبادة الله تعالى ـ ونعمت الحرفة ـ قال الله تعالى

---

27) كلمة ( لهم ) ساقطة في ا ج

28) في الاصول ( كعابر )

29 حجبهم ا ج

30) الآية 11 سورة المومنون

31) اشغل من الرباعي لغة رديئة ، والمشهور : شغل

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (32) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال واكون تاجراً ، ولكن اوحي الى ان « سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقيـــن » (33) ، ولا يستطيعون ان يخرجوا من العمران والبلدان بوجه ، ويكون قوتهم علـــى الله تعالى لأنه كافل امرهم ، ويرزقهم على يد من يشاء من عباده المومنين ، وذلك رحمة من الله تعالى على المذنبين المومنين ولا يسألون الناس شيئاً ولو ابقاهم بالجوع والعري ما شاء (34) ان يُبقيَهم ، فيصبرون على ذلك ولا ينزعجون ويرضون بقسم الله تعالى ولا يعترضون على معبودهم حتى يطعمهم ويسقيهم ويكسوهم والخبر في ذلك ماثور عن موسى عليه السلام ، انه شكا الى الله تعالى الجوع فقال يارب جعت ، فقال ياموسى قد علمت ، قال فاطعمني قال حتى اريد ، فهم على هذه الحالة فاذا اراد الله تعالى ان يطعمهـــم ويكسوهم ألهم المذنبين الى ذلك فاذا اطعموهم وكسوهم وانفقوا عليهم ورحموهم أطعمهم الله تعالى حلاوة طاعته وألبسهم اردية عافيته واشفق عليهم من بين خلقه ، ورحمهم رحمة المجاوز عن الذنوب ، وذلك حكمة مـــن الله ، ورحمة على عباده المومنين المذنبين ، فياطوبى لمن اطعمهم او كساهم او رحمهم او اشفق عليهم ، ولا يكون لهؤلاء الأولياء ماوى الا المساجـــد المهجورة التي لا يصلي فيها احد ولا يأوي اليها غيرهم ؛ فاذا فطن الناس بواحد منهم واشاروا اليه بالسيادة والفضل انتقل من تلك البلدة الى غيرها لكي يبقى حاله مع الله تعالى ، لأن ما لهم قصد غيره فيكون هذا دأبهم وذلك بعلم الله تعالى ، ومشيئته

**ذكر الطبقة الثالثة منهم ، قال علي بن محمد المراكشي رضي الله عنه**
اذا ادخل الله الولي في ولايته حماه من الدنيا وزهده في حلالها ؛ لأن

---

32) الآية 56 سورة الذاريات قال ابن عباس ليعبدوني ليعرفوني ، نقله ابن كثير في التفسير عن ابن جريج عنه 238/4 ، وانظر تفسير ابن جرير الطبري 8/7

33) الآيتان 9 99 سورة الحجرات والحديث اخرجه ابن عدي في الكمـال عن ابن مسعود

34) يشاء ا ج

حلال الدنيا حساب ، وحرامها عقاب ؛ ثم ينظر الله تعالى اليه باللطف الخفي الذي لا يطلع عليه غيره ، فيحفظه ويكلؤه ، ثم يخرجه عن كل موجود سواه ، حتى يخلصه من جميع العلائق ظاهراً وباطناً ، ثم يخرج من العمارة حتى يصير كالوحش لا يأوي الى احد ، فيقع في بحر التوكل على الله تعالى ، فياكل من نبات الأرض ، ويركن اليه الوحش ؛ فاذا سكنت نفسه لذلك ، ابقاه الله تعالى على تلك الحالة ما شاء ان يبقيه ، فاذا اراد الله تعالى ان ينقله من تلك الحالة ، قوى توكله فيظهر له الكرامات والآيات ، وذلك بقوة توكله ، قال الله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (35) ، فيكون ياكل من القدرة ، ويشرب من القدرة ، ويخرج الله له الماء والطعام من غير موضعيهما ، فيسكن قلبه الى الله تعالى ، وتطمئن نفسه اليه ، فيزداد بذلك شوقاً الى الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جبلت القلوب على حب من احسن اليها (36) ، فما يبالي الولي بعد ذلك باي جبل بات ، ولا باي واد مات ، فاذا كان زمن القيظ ، أبدله الله تعالى مكان الشوق انسا ، فيشغله الأنس عن الحر ، فاذا كان زمن القر ، زاده الله تعالى شوقا اليه ، فيلتهب قلبه بنار الشوق ، فلا يبالي من شدة البرد ، ولو اقام في الثلج عمره ، وكذلك اخبرت عن جماعة من الأبدال بجبل لبنان ، ويكون ذلك من الحكيم العليم على وجه التربية ، فيربي الولي كما يربى الطفل الصغير « ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (37) ، لأن بذلك خط له في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات ، ولذلك خلقه ، فيبقى الوليُّ على تلك الحالة ما شاء الله تعالى ، فاذا اراد الله تعالى ان يزيده كرامة نقله من حالة التوكل الى حالة اليقين ، ثم يقوي يقينه ، وذلك تفضل سابق من الحق ، وخصوصية يختص برحمته من يشاء « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » (38) ، فيزيده

---

35) الآية 3 سورة الطلاق

36) حديث ضعيف ، رواه ابن عدي في الكامل ، وابو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الايمان انظر الجامع الصغير 488/1

37) الآية 21 سورة الحديد

38) الآية : 75 سورة الأنعام .

الله المسير في الهواء ، والمشي على الماء ويظهر له الجبال والرمال ذهبا وفضة فلا يلتفت اليها ويعرض عنها فينال بذلك معرفة الله تعالى ، واعني بهذه المعرفة معرفة الخصوصية لا معرفة اقرار ، لان لكل لسان عبادة ولكل عبادة اهلا (39) ، فاذا عرف الله احبه وذلك بتقديم (40) حب الله له ، لأن المعرفة طلب المحبة ، فيقربه الله تعالى وتحبه ملائكة الصفح الأعلا ، لأن الله تعالى لا يحدث شيئا في الارض حتى يظهره في الملكوت الأعلا ، قال الله تعالى « الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن » (41) ، فعند ذلك يأمر الله تعالى جبريل واسرافيل عليهما السلام ان يعقدوا له الولاية تحت ساق العرش ، فيزعج الله الولي من البرية ، بأمر قاهر فيما بينه وبين سيده ، الى بلدة من القواعد ، فيقيم فيها بأمر الله اللطيف الخبير ، وذلك قوله تعالى « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » (42) ، وذلك رحمة من الله تعالى على اهل البلدة التي يقيم فيها الولي فتكون حكمة الله تنبع من قلبه كما ينبع عنصر الماء العظيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلص قلبه لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (43) هذا المخلص ، فكيف يكون حال من خلص ؟ فمن اراد الله تعالى ان يرحمه جعله مريداً لهذا الولي ، وخصصه من غيره لارادته ، ولا يظهر الله هذا الولي لأحد من خلقه ، الا على وجه الميراث من علمه وحكمته ، فمن راى هذا الولي فقد فاز فوزا عظيما ، ولا يقع نظر انسان عليه من غير معرفة الا غفر الله لوالديه ان كانا مومنين ، ولسبعين من اهل بيته ، هذا لمن لم يعرفه ، فكيف لمن عرفه على وجه الميراث والاقتباس ، وذلك على قدر قسم الله تعالى لعباده ، ولا بد من بدل من يرى هذا الولي ، اذا مات (44) ابدله الله تعالى مكانه

---

39) أ ب اهل

40) أ ج : بتقدم .

41) الآية 2 سورة الطلاق

42) الآية 27 سورة الأنبياء

43) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وهو في الحلية 189/5 ، وفيض القدير 43/6

44) في الأصول : اذ .

قال المؤلف يؤيد هذه المقالة ما روي ان ابا يزيد البسطامي (45) رضي الله عنه ، سأله بعض الناس فقال له هل ينتفع برؤية الولي من يراه ؟ فقال ابو يزيد اذا كان يوم القيامة امر الله تعالى برجل عاص الى النار ، فتحمله ملائكة العذاب فيسمع حفيفا كثيرا من تهليل وتكبير ، فيقول الرجل الماشي الى النار لملائكة العذاب الحاملين له ما هذا ؟ فيقولون له هذا ولي من اولياء الله تعالى اسمه فلان ، قد امر الله به الى الجنة ، فيامر الله تعالى ملائكة الرحمة ان تنقذه من ملائكة العذاب وتلحقه بالولي الذي سمع ذكره واسمه في الدنيا فيدخل معه الجنة ، فقال ابو يزيد للسائل له فاذا كان هذا حال من سمع فكيف حالُ من راى (46) وصحب ؟ وروى شيخ المشايخ في كرامة ابي يزيد ان رجلا من اصحاب ابي يزيد — وكان خياطا مات — فرئي في المنام فقيل له ما كان من امرك ؟ فقال لما دفنت واتى الملكان يسالاني ، قلت لهما كيف تسالاني وقد خطتِ فروا لابي يزيد ؟ فانصرفا عني ، فيكون الولي بعدما يصبح له من الأحوال ما ذكرناه ، كمن به عطش شديد ، فهو لا يروى منه ابدا ويكون في زيادة لا يعبَّر عنها

فالطبقة الأولى ممن ذكرنا صفتهم علم اليقين والطبقة الثانية صفتهم عين اليقين والطبقة الثالثة صفتهم حق اليقين واعني بصفتهم مشربهم الذي سقوا منه ، فعلم اليقين كمن سمع بمنزل ثم عمل عليه ليراه ويدخله ، وعين اليقين كمن راى المنزل وعدل على دخوله ، وحق اليقين كمن دخل المنزلَ وراى المنزول به ، «وما يعقلها الا العالمون» (47) ، فعلم اليقين لعامة الأولياء ، وعين اليقين لخاصة عامة الأولياء ، وحق اليقين لخاصة خاصة الأولياء ، ولا بد للولي بعد نهايته من الرجوع الى الخلق ضرورة على وجه الرحمة والافادة لأن الأولياء ائمة

---

45) طيفور بن عيسى عمروشان ، من اهل بسطام ، ويلقب بالبسطامي الاصغر من الزهاد العباد ( ت 261 هـ — 874 م ) انظر ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي 67 ، وحيلة الأولياء 1/33 ، وطبقات الشعراني 1/98 ، والرسالة القشيرية 17 ، والبداية والنهاية 11/35

46) أ ب فكيف حال

47) الآية : 43 سورة العنكبوت .

الخلق وقدوتهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، الى يوم القيامة ، فمن عرف ولي الله تعالى ، فقد عرف الله لأن الولي باب الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرع الباب يُوشك ان يفتح له (48) ، وابواب الله كثيرة ، وباب الله تعالى على الحقيقة هو الولي ، لأن الولي لا يدلك الا على الله تعالى ، وهذا الولي هو الذي لا يشقى جليسه ، فاغتنم معرفة الأولياء في الدنيا لأن لهم يوم يوم القيامة حالات لا يدرك سماعها الا القليل من الناس ، قال الله تعالى « ما يعلمهم الا قليل » (49) فاذا اراد الله تعالى ان يتخذ وليا هيأه الى خدمته ، ثم يلهمه اخلاص الخدمة حتى لا يشرك به شيئاً ، فاذا علم من اخلاصه ما علم أدناه اليه وقربه ، حتى لا يكون في مرتبته احد اقرب اليه منه ، ثم يفتح الله ابواب سمو روحه فينهمر منه ماء لطيف خفي يقال له ماء الوصلة ، فيقع ذلك الماءُ على ارض قلبه ، فينبت بذلك الماء شجرة يقال لها شجرة المحبة ، فيكون اصلها في ارض القلب ، وفرعها تحت ساق العرش ، يهب عليها ريح يُقالُ لها المواهب ، فينعقد من الريح في فروعها انوار وازهار لا يشبه بعضها بعضا في اللون ولا في الرائحة ، فاذا كان في الشجر ، امر الله الملائكة ان يمسكوا بفروعها ، ويهزوها (50) هزا شديدا ، فيخرج من فروعها تلك الرائحة الخاصية التي اودعت فيها ، ثم يامر الله تعالى الملائكة ان ينزلوا الى الأرض يقذفونها في قلوب القائمين الذاكرين

قوله ابواب سمو روحه ، كذا وقع في الأصل بخط الشيخ ابي الحسن ، وهو غامض والسمو الارتفاع ، وهو من علم المكاشفة ومنازلة الحال لا يمكن الخوض فيه مع غير اهله ، ومَن لم يذق لم يدر ، وكلما ذكر اشارة معنوية يقصر اللسان العلمي عن تفسيرها ، وقال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله حاكيا عن بعض المكاشفين من الأبدال نحن نرى اعمال العباد تنزل

---

48) لم اقف عليه كحديث ، وانما هو حكمة ضمنها الشاعر في قوله

اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب ان يلجا

49) الآية 22 سورة الكهف .

50) يهزونها : ا ج

عليهم صوراً من السماء وهذا شيء لا يدرك من جهة النظر ولله سر لا يطلع عليه الا الأولياء والأنبياء

قال ابو عبد الرحمان السلمي في شرح القرآن لـه المسمى بـ الحقائق » (51) ، في سورة المائدة في قوله تعالى « وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا » (52) ، قال ابو كر الوراق (53) لم يزل في الأمم اخيار وتدلاء ، واوتاد على الترتيب كما قال تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا » ، وهم الذين كان يرجع اليهم عند الضرورات ، والفاقات ، والمصائب ، كما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في هذه الأمة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق موسى ، وثلاثة على خلق عيسى ، وواحد على خلق محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (54) قال الشيخ ابو عبد الرحمان وسمعت ابا عثمان المغربي يقول البدلاء اربعون ، والأمناء سبعة ، والخلفاء ثلاثة ، والواحد هو القطب ؛ فالقطب عارف بهم جميعا ومشرف عليهم ولا يعرفه احد ، وهو امام الأولياء والثلاثة هم الخلفاء يعرفون السبعة ، ويعرفون الأربعين الذين هو البدلاء ولا يعرفهم البدلاء والبدلاء يعرفون سائر الأولياء من الأمة ولا يعرفهم من الأولياء احد فاذا نقص من الأربعين احد ابدل الله مكانه واحداً من اولياء الأمة ، واذا نقص من السبعة واحد ، جعل مكانه واحدا من الأربعين ، واذا نقص من الثلاثة واحد ، جعل مكانه واحدا من السبعة واذا نقص القطب الذي هو احد ، جعل بدله واحداً من الثلاثة هكذا الى ان يأذن الله في قيام الساعة

---

51) انتقد ابن الجوزي هذا الكتاب وجرح ابا عبد الرحمان السلمي وقـال انه غير ثقة انظر تلبيس ابليس ص 158

52) الآية 22 سورة الكهف

53) محمد بن عمر الحكيم الترمذي ، له تصانيف في طريق القوم (ت 277 هـ - 890 م ) انظر ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي 221 - 227 وحلية الأوليـاء ج/235 - 237 ، والرسالة القشيرية 22

54) هذا الحديث اورده ابن الجوزي في الموضوعات بروايات مختلفة ، وقال : انه لا يصح منها شيء . انظر ج 150/3 - 152 .

# الفصل الثاني في الفقر والفقير

الفقر هو الافتقار الى الله تعالى في كال حال وفي كل نفس ، والفقر المحمود هو فقر الاختيار ، ومعناه ان يلازم الفقر ايثارا له على الغنى ، وفقر الاضطرار هو ان يكون العبد مقترا عليه في معيشته ، جاهداً في اكتساب ما يتعيش به ، فمن كان غنيا فآثر الفقر عليه ، وخرج عن الوجود قاصداً بذلك وجه الله ، فهذا هو الكامل الوصف ، الداخل في قوله تعالى « ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » (55) ، وتكلم الناس في تفضيل الفقر على الغنى ، واختلفوا في ذلك اختلافا متباينا ؛ فمن فضل الفقر قال هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين من بعده ، وما كان يختار الا الأفضل ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رايت الفقراء يدخلون الجنة ، ولم ار من الأغنياء معهم احدا الا ابن عوف ، رايته معهم حبوا (56) وروي ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمئة عام (57) وجماعة الصوفية يفضلون الفقر على الغنى ، وشذّ منهم يحيى بن معاذ

---

55) الآية 9 سورة الحشر

56) ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة 413/1 ، وقال فيه ان رجاله ثقات ، وفي الترغيب والترهيب للحافظ المنذري 140/4 انه ورد من غير وجه ، ولا يسلم اجودها من مقال ، ولا يبلغ منها شيء بانفراده درجة الحسن

57) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه ، وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح . انظر الترغيب والترهيب 139/4

الواعظ (58) واحمد بن عطاء (59) قال القشيري كان ابن عطاء يفضل الغنى على الفقر ، فدعا عليه الجنيد فأصيب في عقله مدة من ثلاثين سنة فلما رجع اليه عقله ، قال انما اصابني ما اصابني بدعاء الجنيد ، وتكلم يحيى بن معاذ ، ففضل الغنى على الفقر ، فأعطاه بعض الأغنياء ثلاثين الف درهم ، فدعا بعض المشايخ عليه ، فقال لا بارك الله لك فيها ، فخرج عليه اللص فسلبه المال ، قال الأستاذ ابو علي الدقاق (60) قد تكلم الناس في الفقر والغنى ، وايهما افضل ؟ والأحسن عندي ان يعطى كفايته ثم يصان فيها. قال مفضل الغني اليدُ العليا خير من اليد السفلى (61) والواجب على العبد ان يتشبهَ بمولاه في افاضة الجود على غيره ، وليس لله فقر فالغنى افضل منه ، وحكى عن ابي يزيد البسطامي انه قال اسري بروحي ، فرايت كأني واقف بين يدي الله تعالى ، فسمعت قائلا يقول يا ابا يزيد ان رايت القرب منا ، فائتنا بما يسر عندنا فقلت يا مولاي ، واي شيء ليس عندك ؟ ولك خزائن السماوات والأرض ؟ فسمعت يا ابا يزيد ليس عندي ذل ولا فقر ، فمن اتاني بهما بلغته ، قال مفضل الفقر هذا دليلي ، فان الواجب على العبد ان لا ينازع مولاه ما اختص به ، بل يلتزم الذل والفقر ، فهو اللائق به ، فان الله تعالى يقول العظمة ازاري ، والكبرياء ردائي فمن نازعنيهما قصمته (62)

---

58) ابو زكرياء يحيى بن معاذ الرازي الواعظ ( ت 258 هـ - 871 م ) انظر ترجمته في طبقات السلمي 107 وحلية الأولياء 51/1 ، والرسلة القشيرية 16 وطبقات الشعراني 94/1 ، وتاريخ بغداد 208/14

59) احمد بن محمد بن سهل بن عطاء الادمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم ، (ت 309 هـ - 921 م) انظر ترجمته في طبقات السلمي 265 ، وحلية الأولياء 302/1 ، والرسالة القشيرية 23 ، وطبقات الشعراني 111/1 ، وتاريخ بغداد 26/5 - 30

60) ابو علي الدقاق من رجالات الرسالة القشيرية وانظر تاج العروس (دق)

61) يشير الى حديث اليد العليا خير من اليد السفلى اخرجه الستة الا الترمذي

62) رواه مسلم وابو داود وابن ماجة .

واما الفقير في اللغة فهو الذي له الشيء اليسير قال الشاعر

اما الفقير الذي أمست حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد (63)

فيجعل له حلوبة ، وهي الشاة التي يحلب منها اللبن وهو مذهب مالك ومن تبعه من الفقهاء ، وقيل هو الذي دون النصاب ؛ والمسكين أسوأ حالا منه ، وهو الذي لا شيء له ، وهو مشتق من السكون ، وقد خالف في هذا بعض الناس وقال الفقير هو الذي لا يملك شيئا ، وقال هو مشتق من فقار الظهر ، وهي الخرازة المنتظمة فيه ، وكأن هذا الفقير قد انكسرت فقارة ظهره ومن انكسرت فقارة ظهره فقد مات والمسكين من يملك الشيء اليسير ، قال الله العظيم « واما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر » (64) ، فجعل لهم السفينة قال غيره انما كان ذلك على وجه الترحم ، تقول العرب فلان مسكين قد مات ولده ، مع انه قريء مساكين بتشديد السين وقال آخرون الفقير والمسكين اسمان لمسمى واحد وظاهر القرآن يخالف ذلك ، قال الله تعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين » (65) ، وفسر ذلك الفقهاء فقالوا: تجب الصدقة لثمانية اصناف ، فجعلوهما اسمين لمسميين ، وهو صحيح قال القشيري قال مظفر القرمسيني هو الذي ليس له الى الله حاجة قال وفي ظاهر اللفظ اشكال وانما اراد سقوط مطالبته لله بشيء من حاجات الدنيا والآخرة (66) وليس ذلك استغناء عن الله وانما هو تسليم له وتفويض لمشيئته فقد اسقط المطالبة كلها رضي بما قسم له فهو كالميت بين يدي غاسله ، يقلبه كيف شاء

---

63) من بحر البسيط ، قائله الراعي يمدح عبد الملك بن مروان ويشكو اليه تعاسته انظر اللسان والتاج (فقر)

64) الآية 76 سورة الكهف

65) الآية 60 سورة التوبة

66) انظر الرسالة القشيرية : 125 .

والف ابن سبعين (67) كتابا صغيراً سماه « الفقيرية » قال فيه الفقير ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه ، ولا داخلا فيه ولا خارجا عنه ، وهذا من الكلام الخلف الساقط الذي لا يفيد حقيقة ، والفقير هو جسم محدث ذو روح محدثة ، وهو جزء من العالم داخلا فيه ومتصلا به ، وانما سرق ذلك المعنى من قول ابي حامد الغزالي (68) في كتاب النفخ والتسوية في الروح الكلي انه ليس بداخل في العالم ، ولا خارجا عنه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ، قال لأن من شرط الدخول والاتصال والانفصال الجسمانية ، والروح الكلي ليس بجسم ، فهو غير قابل للاتصاف بذلك ، كما انه لا يقال في الحجر لا جاهل ولا عالم ، اذ من شرط العلم والجهل الحياة ، والروح الكلي جوهر بسيط ، يلقى الى الأجسام البشرية من نوره ما تلقيه الشمس من شعاعها الى المرآة الصقيلة ، فهي واحدة في نفسها متعددة في غيرها

قال المؤلف وقد تابع ابا حامد على قوله هذا ، عبد الجليل بن موسى القصري (69) قال في كتابه المسمى بـ « الشعب » في فصل الروح من الشعبة الأولى والروح جوهر بسيط نوري ، يلقي الى الأجسام مثل ما تلقيه ، الشمس من شعاعها كما قال الشاعر ، وهو عباس بن مرداس السلمي

---

67) عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسي فيلسوف متصوف ( ت 669 هـ ـ 1270 م ) انظر ترجمته في فوات الوفيات 1/247 وطبقات الشعراني 1/203 ، والبداية والنهاية 13/261 ، ولسان الميزان 3/392 ، ودائرة المعارف الاسلامية 1/188

68) ابو حامد احمد بن محمد الغزالي الطوسي ، حجة الاسلام ( ت 505 هـ ـ 1111 م ) انظر ترجمته في وفيات الأعيان 1/463 ، وطبقات الشافعية 4/101 ، والوافي بالوفيات 1/277 ، ومفتاح السعادة 2/191 ، وخصه بالترجمة عبد الباقي سرور ، واحمد فريد الرفاعي ، واحمد رضى ، وسواهم

69) عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري القرطبي القصري ، نسبة الى قصر كتامة بالمغرب لنزوله به ( ت 608 هـ ـ 1211 م ) انظر ترجمته في التكملة 603 ـ 654 وطبقات المفسرين للسيوطي : 16 ، ونبل الابتهاج للتنبكتي : 184 .

كانوا امام المسلمين دريئـة (70) والشمس يومئذ عليهم أشمس (71)

اي الشمس تعددت في البيضات ، والتراس ، والسيوف ، والدريئة (72) :
الحلقة يتعلم عليها الرمي والطعن قال الشاعر

ونصبت نفسي للرماح مدججـا مثل الدريئة (73) تستحل وتشرح (74)

وما قاله ابو حامد وعبد الجليل في الروح الكلي باطل ، وانما استند قائله الى الحدس والتخمين ، ويحقق بطلانه انه لو كان كذلك ، لما تميزت النفوس بعد موت الأجسام ، ولا ترتب عليها حكم من الثواب ولا من العقاب فان الروح الكلي واحد على زعمهم ، وانما تعلقت اجزاء من نـوره بالأجساد ، فعند ذهاب الأجساد ، بقي الروح الكلي كما كان متحدا ، وقـد اختلفت الأرواح الطبيعية الحيوانية ، وبحسب اختلافها اختلف الروح الكلي بها ، فما تعلق بروح شخص ، لا يمكن آن يتعلق بروح غيره ، اذ لا يتعلق شيء من الروح الكلي الا بمناسب له من الأرواح الطبيعية فاذا صح التعلـق للمناسبة صح تعلق الروح الكلي بها ، فاذا اعيدت الأجساد على وضعها الذي كانت عليه في الدنيا ـ في الآخرة تعلق كل جزء كان من الروح الكلي

قال المبطل لمذهبهم

اذا قلنا ان الروح كلي واحد وهو جوهر بسيط غير منقسم في نفسه ، صح ـ لو فرضنا انقسامه ـ ان كل جزء منه مساو للآخر ، والأرواح مختلفة ، فكيف يصح تعلق جزء من الروح الكلي بجزء من الروح الطبيعي وتتعدد بعد مفارقة الأجسام ؟ هذا خطأ ، قلت والقائلون بالروح الكلي هم الفلاسفة ولا دليل لهم على ذلك الا محض التحكم ؛ وعندهم ان الأجساد لا تعاد ، وانمـا

---

70) 72) 73) تكرر ذكر دريئة في الأصول ـ بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ظاهر .

71) من بحر الكامل

74) من بحر الكامل .

تعاد الأرواح ، فيبطل على اعتقادهم تعدد الروح الكلي بعد ذهاب الأجساد والصحيح ان الأرواح محدثة متعددة الأجسام وانها باقية في البرزخ الى حين النشر فتعاد الى اجسامها ؛ وان ارواح السعداء منعمة ، وارواح الأشقياء معذبة ، فاذا اعيدت تنعم الجميع اوشقي الجميع ؛ كما ورد في القرآن فما خالف ذلك فكفر وضلال اعاذنا الله من ذلك

وابن سبعين اسمه عبد الحق ، وهو من اهل مرسية فقد تفلسف ونظر في العلوم القديمة ، واراد ان يجمع بين الفلسفة والتصوف ، فبان تعسفه ، وكثرت دعاويه ، حتى صار لا يسلم لأحد ممن تقدمه ومن تعاطيه انه قال في الفقيرية » المذكورة وقل اعوذ بالمقصود المعلوم من اضطراب الغزالي وضعفه ، وتحير ابن سينا ، وزعم ان التصوف لم يدركه احد ممن سلف

وحدثني ابي اسماعيل بن احمد (75) رحمه الله ، قال كان ابن سبعين قد استقر بمدينة سبتة ، فشاع عنه انه فيلسوفي ، فنفاه ابن خلاص (76) منها ، فمر علينا ببادس متوجهاً الى المشرق فدخلت عليه بجامع بادس فسألته عن قول الله تعالى قل ان كان للرحمان ولد فأنا اول العابدين » (77) فقال لي او الجاحدين ، قلت وهذا القول اضعف ما قيل في ذلك ، فانه انفرد ابو عبيدة بنقل العابد بمعنى الجاحد فقال تقول العرب عبدني حقي اي حجدني (78) واستقر ابن سبعين بمكة عند الشريف ابي نمي (79) فتشيع عنده ، فكان طبيباً ، فأصيب راس ابي نمي في بعض الحروب فذهب ليفحصه ،

---

75) ستاتي ترجمته عند المؤلف

76) هو ابو علي بن خلاص ، كانت ولايته على سبتة بسنة ( 635 هـ - 1237 م ) انظر الاستقصا 220/2

77) الآية 81 سورة الزخرف

78) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ج 61/25 ، وتفسير ابن كثير 136/4

79) ابو نمي بن ابي سعيد ، ولي امارة مكة نحوا من خمسين سنة ، وكانت وفاته على راس المئة السابعة . انظر تاريخ ابن خلدون 228/4 - 229 .

فصنعه له ابن سبعين من قشر القرعة فحظي عنده واتصل بالملك المظفر ملك اليمن خبره ، فدس عيله من سمه فمات بمكة

وحدثني القاضي علي بن يحيى الجزائري قال لما استقر ابن سبعين بمكة ، كتب اليه نجم بن اسرائيل (80) يختبره

مفائحة في الود فاقت شذا النــد — وشيخ غدا في الفضل منقطع الند
امام المعالي والمعاني ومن لــه — من الفضل ما أربى عن الحصر والعد

وهي قصيدة بارعة في معناها ، فيها اشارات صوفية ، وآخرها

ومن عجب اني علي مسلـــم — وآناء مني للتحية مسجـد (81)

فلم يجبه ابن سبعين بحرف ، تعاطيا (82) ومعاطاة (83)

والنجم هذا اوحد زمانه شعرا وادبا ، وظرفاً وتصوفاً وكان معاصرا لابن الفارض ومن شعر النجم

وفى لي من اهواه حقا بموعـد — فارغم عذالي عليه وحسـدي (84)
وزار على بعد المزار تطوعـا — على مغرم بالوصل لم يتعـود
فياحسن ما ابدى لعيني جماله — ويابرد ما اهدى الى قلبي الصدي(85)
وياصدق احلامي ببشرى وصاله — ويافوز آمالي ويانجح مقصدي
ولما تجلى لي على كل شاهد — وسامرني بالرمز في كل مشنهد

---

80) ابو المعالي محمد بن سوار بن اسرائيل بن الخضر الشيباني ، شاعر مشهور ( ت 677 هـ ) انظر ترجمته في فوات الوفيات 431/2 ، وشذرات الذهب 359/5

81) من بحر الطويل

82) يقال تعاطينا فعطوته اي تغالبنا في العطاء فغلبته

83) في الأصول ومطالعة ، ولعل الصواب ما اثبته

84) في الأصول وحسد والصواب ما اثبته

85) الصدي : العطشان

تجنبت تقييد الجلال ترفعـــــا وطالعت اسرار الجمال المبـدد
وسار سماعي مطلقا منه بدؤه وحاش لمثلي من سماع مقيـد
خليلي من سعدى ولبنى مغانيـــا فقد آمنت من ان تروح وتغتـــدي
فلا تلزماني الحب فالنسك شاغلي ولا تذكرا لي الورد فالراح موردي
ولا تقفا لي في الرسوم التي عفـت فقد طال حبسي بين ثوبي ومرقدي (86)

وسترى نبذة من خبر ابن سيعين في رسم الشيخ الصالح ابي القاسم ابن الصبان (87) رضي الله عنه

وفي معنى هذيان ابن سبعين انشد المسترشد

دعوى الكذوب تزيده (88) غيا وقد يبدي الضمير لدى التكلم ما اعتقد
هيهات ليس بمشبه برق بـــدا في موهن متضائل نجما وقـد
فارم الشكوك محرقاً سربالَـهـــا فهي التي تخفي اليقين متى اتـقـد
والعقل ضد الجهل فاسعَ بنـوره فهو الدليل لمن يحقق ما انتقد (89)

---

86) من بحر الطويل ، انظر القصيدة كاملة في فوات الوفيات 2/431 – 432

87) انظر الترجمة رقم (7)

88) في الأصول تزيد ولعل الصواب ما اثبته

89) من بحر الكامل .

# الفصل الثالث في التصوف

قالَ الشيخ ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى ورضي عنه تسمى الأفاضل الذين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحابة ومن بعدهم بالتابعين ومن بعدهم بتابعي التابعين ووقفت التسمية ؛ وبعد ذلك قيـــل للفضلاء من اهل الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت طائفة سموا بالصوفيـة بعد تمام المئتين من الهجرة (90) وقد اختلف في اشتقاق ذلك اختلافا بينا فقيل التصوف مشتق من الصفاء وقيل من لبس الصوف ، وقيل من الصفة وليس يتخرج شيء من ذلك على الطريقة المرضية للعربية الا ان من قال يقال تصوف اذا لبس الصوف فذلك له وجه الا ان القوم لم يختصوا بلباس الصوف ومَن قال من الصفة اي ان هؤلاء من الصف الأول بقلوبهم ، فذلك ايضا له معنى والصحيح ان هذا الاسم لهم كاللقب (91) ، قال الحافظ ابـو نعيم قيل هو مشتق من الصفاء او من الصوفانة او من صوفة او مـن صوفة القفا اما من الصفاء فلصفاء قلوبهم ، واما من الصوفانة ، وهي بقلة ، فلاجتزائهم بأكلها عن الطعام واما من صوفة فهي قبيلة كانت تجيز الحاج على وجه الدهر اي كأنهم مجتهدون في افعال ، واما من صوفة القفا فلانعطافهم على الطاعات ، كانعطاف صوفة القفا عليه (92) قلت وهذه كلها اشارات بعيدة قال البستي (93)

---

90) انظر الرسالة القشيرية 7 ــ 8

91) نفس المصدر

92) انظر حلية الأولياء 1/17

93) في الأصول (السبتي) وهو تحريف ظاهر ، والبستي هو ابو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي ، شاعر عصره ( ت 400 هـ ــ 1010 م ) انظر ترجمته في الوفيات 1/356 ومفتاح السعادة 1/229 ، والبداية والنهاية 11/278 ، ويتيمة الدهـــر 4/204 ، وطبقات السبكي 4/4 .

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا (فيه) (94) وظنوه مشتقا (95) من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غيــر فتى صاف (96) فصوفي حتى لقب الصوفي (97)

وقد جعله القشيري في مقامات رسالته واحداً منها (98) فهو على مقصده صفة ، وجعله اولا في صدر رسالته (99) اسما علما ، وجعل له فـي تضاعيف كلامه احوالا وسمه بها فلا يكاد يظهر عنده الاسم الجامع هل هو الولي او الفقير او الصوفي ؟ ثم قال قيل للشبلي لم تسموا بهذه التسمية ؟ قال لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية ، قــال بعضهم الصوفي هو الذي لا تُقِلّه الأرض ، ولا تظله السماء ، وانما اشار بذلك الى حالة المحو (100) ، والكلام في الصوفي والتصوف كثير ، وايراده يقطع دون المراد

---

94) كلمة (فيه) ساقطة في الأصول ، وفي بعض الروايات ـ بدلها ـ (جهلا)

95) في الأصول ( وظنوا انه مشتق ) ولا يستقيم البيت بذلك

96) في الأصول (صفا) والانسب لقوله (فصوفى) ، ما اثبته (صافى) كما في بعض الروايات

97) ورد البيتان بروايات مختلفة ( تنازع ) ، ( تخالف ) ، جهلا ( فـيـه ) (وظنوا انه مشتق) انحل (امنح) صافى (صفا)

98) انظر الرسالة القشيرية 126

99) المصدر السابق ص 2

100) نفس المصدر : 127 .

# الفصل الرابع في اثبات كرامات الأولياء

قد اجمع اهل السنة على جواز خرق العادة للأولياء على وجـــه الكرامات ، ومنع ذلك المعتزلة اطباقا منهم على انكارها ، وكان الأستاذ ابو اسحاق (101) يميل الى قريب من مذهبهم ، وكان ذلك عنده من قبيل اجابة الدعاء ، ويحكي عن ابي محمد بن ابي زيد (102) انه كان ينكرها ، وانه رجع الى اثباتها بعدما تصورت له قصة مع المؤدب محرز التونسي (103) والله اعلم والذي ذهب اليه القاضي (104) وغيره من اصحابه المحققين ، ان ما جاز ان يكون مقدورا لله تعالى جاز وقوعه كرامة للأولياء وان كل كرامة تظهر على يدي ولي ، فهي محسوبة في معجزة ذلك النبي اذ بسبب اتباعه له ، واقتدائه بشريعته ، ظهرت له الكرامة ؛ والفرق بين النبوءة والسحر ان صاحب النبوءة يدعو النـاس الى رشد وهدي ، مبلغا لهم امر الله ومبينا لهم حدوده والساحر داع الـــى ضلال وكفر والفرق بين السحر والكرامة ان الساحر يدعو الى نفسه غير مقتد بشريعة والولي مقتد بشريعة ومتبع لرسول قد وضحت دلائل صدقه قال طائفة من المتكلمين النبي يعتمد في المعجزة اثبات دعواه بأنه نبي والولي لا يعتمد ذلك ، والمعنى الموجود من ذلك هو المسمى عند اصحابنا بالتحدي.

---

101) يعني ابا اسحاق الاسفرايني ( ت 418 هـ ـ 1027 م ) انظر ترجمتـه في وفيات الأعيان 4/1 وطبقات السبكي 11/3 وشذرات الذهب 209/3

102) عبد الله بن ابي زيد النفري القيرواني ، امام المالكية في وقته (ت 386 هـ 996م) انظر ترجمته في الديباج 140 ـ 142 ، ومعالم الايمان 109/3 ، وشجرة النور 96

103) وهو الذي سأل منه ان يؤلف كتابه «الرسالة» في الفقه لتعليم الولـدان انظر الرسالة بشرح ابي الحسن ص 22

104) يعني القاضي ابا بكر محمد بن الطيب الباقلاني من كبار علماء الكـلام ( ت 403 هـ ـ 1013 م ) انظر ترجمته في : وفيات الأعيان 481/1 ، وتاريخ بغداد 389/5، ودائرة المعارف الاسلامية 294/3 .

وقد قال جماعة ان ما وقع كرامة لولي ، فليس يكون مقارنا لدعوى يدعيها وكذلك قالوا ان ما وقع معجزة لنبي لا يجوز ان يقع كرامة لولي ، لما في ذلك من الالتباس الموجب لتشبه الأولياء بالأنبياء ، وسنورد من كلام ائمة الحق ما يزيد تفسير هذه الجملة ، قال ابو المعالي (105) قد قال قوم ان الكرامة تفارق المعجزة بانها تقع بغير اختيار الولي وذلك غير صحيح وقال آخرون يجوز وقوع الكرامة على حكم الاختيار ، ولا تقع على قضية الدعوى ومعنى كلامهم ان الولي يتمنى شيئاً مختاراً له فيقع على حسب اختياره ، فذلك هو الكرامة ، ومعنى قضية الدعوى ، انه يدعي مثلا انه ولي الله ، ويقول دليلي على صحة ذلك خروج الماء من هذه الصخرة قال وقد راوا ذلك فرقا بين الكرامة والمعجزة قال وهذه الطريقة غير مرضية ، ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العادة مع الدعوى المفروضة قال : وصار بعض اصحابنا الى ان ما وقع معجزة لنبي ، لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي ، مثل انفلاق البحر ، وانقلاب العصا حية ، واحياء الموتى وغير ذلك من المعجزات وآيات الأنبياء قال وهذه الطريقة غير سديدة ايضاً ، والمرضي ـ عندنا ـ تجويز جعله خوارق العادة في معارض الكرامات ، ولا خلاف ان الشيء الواحد من خوارق العوائد ، يجوز ان يكون معجزة لنبي بعد نبي ، ثم لا يكون ظهوره مكذبا لمن تحدى به الأنبياء اولا

فان قيل ما الفرق بين الكرامة والمعجزة ؟ قلنا لا يفترقان في جواز الفعل الا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوءة ووقوع الكرامة دون دعوى النبوءة ، ودليلنا في اثبات الكرامة ما لا سبيل الى رده في مواقع السماع ، فان اصحاب الكهف وما جرى لهم من الآيات لا سبيل لهم الى جحده وما كانوا انبياء اجماعا ، وكذلك ما اختصت به مريم من الآيات ، وكذلك ام موسى عليه السلام ، وما جرى من الآيات في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، مما لا ينكره الاسلام وذلك قبل النبوءة ، والمعجزة لا تسبق دعوى

---

105) عبد الملك الجويني امام الحرمين وشيخ المتكلمين ، ( ت 478 هـ ـ 1085 )
انظر ترجمته في وفيات الأعيان 278/1 ، وطبقات السبكي 249/3 ، ومفتاح السعادة 440/1

النبوءة فما بقي الا آن ذلك كرامة ؛ ولم يكن في زمان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي تستند اليه آياته فقد وضحت الكرامات جوازا ووقوعا عقلا وسمعا (106)

قال القشيري والممتنع وقوعه كرامة مولد انسان من غير ذكر وانثى وانقلاب الانسان حمارا ، والحمار انسانا وما اشبه ذلك (107)

قلت انما صار المنكر للكرامات منكراً لها من طريق مراعاة الأسباب ، فيستحيل عنده الطيران في الهواء من غير حامل والمشي على الماء من غير حائل وغير ذلك من الكرامات وقد يقيض الله للولي من لطفه ، ويسبب له ما اراد من الأسباب الحاملة له ، وقد تكون الكرامة ايضا باجابة الدعاء ، وقد تكون الكرامة بالرؤيا الصالحة من الرجل الصالح ، فانه قد ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثني ابي اسماعيل بن احمد بن محمد بن الخضر الخزرجي رحمه الله ، قال حدثني شيخي يوسف بن علي بن محمد بن عبد الرزاق الأشعري في غرة شوال سنة خمس واربعين وستمئة ، قال حدثنا الفقيه الحافظ القاضي ابو محمد بن حوط الله (108) الانصاري ، عن الفقيه المحدث الحافظ ابي عبد الله ابن زرقون عن موسى ابن ابي تليد عن الامام الحافظ يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري ، عن احمد بن القاسم التاهرتي ، عن محمد بن عبد الله ابن ابي دليم ، وعن وهب ابن مسرة ، جميعا عن محمد ابن وضاح ، عن يحيى عن مالك عن زيد بن

---

106) انظر في موضوع الكرامات الرسالة القشيرية 158 - 175 واللمع للطوسي 390 - 408 ، والتعريف لمذهب التصوف 71 - 79 ، وطبقات الشعراني 1/14 - 17 ومقدمة ابن خلدون 853 - 854 ، والحجة في اثبات كرامات الأولياء لسليمان ابن سبع السبتي مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (35 ق)

107) انظر الرسلة القشيرية 160 ، وجمع الجوامع لابن السبكي بشرح المحلى ج 2/420

108) في الأصول ( بن حفظ الله ) وهو تحريف ظاهر .

اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لـــم يبق (109) بعدي من النبوة الا المبشرات ، قالوا وما المبشرات يارسول الله ؟ قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له ، جزء من ستـــة واربعين جزءاً من النبوءة (110)

---

109) رواية الموطا وعليها بشرح ابن عبد البر في التمهيد ( ان يبقى ) ورواية البخاري في صحيحه ( لم يبق ) انظر الزرقاني على الموطا 353/4 .

110) انظر « التمهيد » ج 55/5 .

# القسم الثاني

## في اثبات حياة الخضر (1) وتعرف طرف من احواله

---

1) الخضر : بفتح الخاء وكسر الضاد ، ويجوز في العربية كسر الخاء وسكون الضاد ، وزاد القسطلاني فيه لغة ثالثة وهي فتح الخاء وسكون الضاد . انظر اللسان والتاج ( خضر ) .

اعلموا ـ ارشدنا الله واياكم ـ ان المفسرين اتفقوا على ان المراد بقوله تعالى في قصة موسى في سورة الكهف « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » (2) الى آخر القصة ، انه هو الخضر واختلف في اسمه ، فقيل اسمه احمد ، وكنيته الخضر ، وهذا انما يمكن ان يكون تسمى بذلك في الاسلام لا قبله

قال السهيلي (3) اختلف في اسمه اختلافا متباينا ، فعن وهب بن منبه ان اسمه بنيامن وقيل انه ايليا بن ملكان بن فالغ ، بن شالخ بن ارفخشد ، بن سام ، بن نوح (4) عليه السلام . وقيل هو ابن عاميا بن سمالحين ، بن اويا بن علقما ويقال اويا بن عيصو بن اسحاق وان اباه كان ملكاً وان امه كانت بنت مالك فارس اسمها الها وانها ولدته في مغارة وانه وجد هناك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم القرية لرجل من اهلها فأخذه الرجل ورباه فلما شب وطلب ابوه الملك كاتبا ، وجمع اهل المعرفة والنبل ليكتب الصحف التي انزلت على ابراهيم وشئت ، كان فيمن قدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه ، فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن كيفية امره ، فعرف انه ابنه فضمه لنفسه ، وولاه امر الناس ، ثم ان الخضر فر من الناس والملك لأسباب يطول ذكرها الى ان وجد عين الحياة ،

---

2) الآية 65 سورة الكهف

3) عبد الرحمان بن عبد الله بن احمد الخثعمي السهيلي حافظ عالم باللغة والسير ، ( ت 581 هـ 1185 م ) انظر ترجمته في بغية الملتمس 354 والتكملة 570 ، وتذكرة الحفاظ 137/4 هذا النسب يخالف ما ذكره ابن حجر في الاصابة 2 ق 1 ص 115 ، وانظر تاج العروس ( خضر ) ج 181/3 .

فشرب منها فهو حي الى خروج الدجال ، وانه الرجل الذي يقتله الدجال فيحييه الله تعالى ، قال الخطابي (5) ، وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته (6) والفروة وجه الأرض ، وكذلك جلدة الرأس ، يقال لها فروة ، وانشد في صفة حبشي

صعل اسك كأن فروة راسه بذرت فأنبت جانباها فلفلا (7)

الصعل صغير الراس (8) والأسك الصغير الأذنين (9) قال السهيلي واختلف في حياة الخضر ، فقيل انه لم يدرك زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال البخاري (10) وطائفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي (4) مات الخضر قبل انقضاء المئة ، لقوله صلى الله عليه وسلم الى راس المئة عام لا يبقى على وجه الأرض احد ممن هو عليها يعني ممن كان حيا ، والتقدير في هذا الوجه انه ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وانه اجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وانه عزى فيه اهل بيته بعد موته وهم مجتمعون لغسله وقد روي ذلك من طرق صحاح وروى

---

5) ابو سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم البستي ، فقيه محدث ( ت 388 هـ - 98 م ) انظر ترجمته في الوفيات 166/1 وانباء الرواة 125/1

6) اخرجه الشيخان في صحيحهما ، انظر الاصابة ج 2 - ق 115/1

7) من بحر الكامل

8) انظر اللسان والتاج ( صعل )

9) انظر اللسان والتاج ( سك )

10) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري حبر الأمة وامام اهل الحديث (256 هـ - 870 م ) ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ 122/2 وتهذيب 47/9 ، والوفيات 455/1 ، وتاريخ بغداد 4/2 - 36 ، ودائرة المعارف الاسلامية 419/3 - 426

11) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي ، من حفاظ الحديث ( 543 هـ - 1148 م ) انظر ترجمته في الصلة : 531 ، وقضاة الأندلس 105 ، والديباج 281 ، وجذوة الاقتباس : 160 .

ذلك في التمهيد امام اهل الحديث يوسف ابن عبد البر (12) قال ان اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حين غسل وكفن سمعوا قائلا يقول ان في الله خلفا من كل هالك ، وعوضاً من كل تالف ، وعزاء من كل مصيبة ، فعليكم بالصبر ، فاصبروا واحتسبوا ، ثم دعا لهم ولا يرون شخصه ، فكانوا يرون انه الخضر يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته (13) قال السهيلي وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الهواتف له بسند يرفعه ، ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، لقي الخضر وعلمه هذا الدعاء وذكر له ثوابا عظيما ومغفرة ورحمة لمن قاله اثر كل صلاة ، وهو يامن لا يشغله سمع عن سمع ، ويا مَن لا تغلطه المسائل ، ويا من (لا) (14) يسأم عند الحاح الملحين ، اذقني برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك ، وذكر ايضاً ان عمر بن الخطاب سمع هذا الدعاء من الخضر

وروي ان الخضر والياس يجتمعان عند البيت في كل حول ، وانهما يقولان عند افتراقهما ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله ، لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله ما شاء الله ، ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما يكون من نعمةٍ فمن الله ؛ ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله ، توكلت على الله ، الله حسبنا ونعم الوكيل (15)

قال المؤلف قد تضافرت الأخبار بحياة الخضر ، وحكايات الصوفية في ذلك كثيرة مشهورة ، وعندهم ان رؤيته من الولاية ، وكل من ذكر منهم انه رآه فانه يراه على صفة غير الصفة التي يراه عليها غيره ؛ وحكى القشيري ،

---

12) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر حافظ المغرب (ت 463 هـ - 1071م) انظر ترجمته في جذوة المقتبس 344 ، وبغية الملتمس 474 ، والصلة 6/6 ، والمغرب في حلى المغرب 407/2 ، والديباج 357

13) انظر التمهيد ج 162/2 قال الحافظ ابن حجر في الاصابة 2 ق 119/1 وتعقبه عليه ابن دحية

14) كلمة (لا) ساقطة في الاصول ، والمعنى يقتضيها

15) انظر كتابه « التعريف والاعلام ، فيما ابهم في القرآن من الأسماء والاعلام )

والمطموعي ، وابو طالب المكي وغيرهم رؤية الصالحين له في مواضع كثيرة

وقيل للخضر هل رايت احداً فوقك ؟ فقال نعم ، كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرزاق يحدث ، وشاب قد جعل راسه بين ركبتيه ، فقلت ياهذا ، ألا تسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع راسه الي وقال سمعت من الله ، فقلت له ان كان ما تقول حقا ، فمن انا ؟ فقال اخي ابو العباس الخضر فعلمت ان لله اولياء لا اعرفهم وروى احمد العزفي السبتي (16) رضي الله عنه في كتابه المسمى بـ « دعامة اليقين في زعامة المتقين » (17) ان ابا الحسين (18) بن الصائغ (19) خرج متوجها الى زيارة الشيخ ابي يعزى (20) نفع الله بهما ، فبات في بعض المنازل فأتاه الخضر تلك الليلة ، فما زالا يتحدثان الى ان قال له الخضر لما مات ابراهيم بن ادهم صرخ صارخ بجبال الشام ألا ان امام اهل الأرض قد مات ، وانه قد مات الآن امان اهل الأرض ، وهو ابو شعيب ايوب السارية (21) قال ابو الحسين ابن الصائغ فلما وصلت الى الشيخ ابي يعزى قلت له قد مات الشيخ ابو شعيب ، فقال لي قد عرفت ، وعرفت من عرفك بذلك

---

16) احمد بن محمد بن احمد اللخمي العزفي ( ت 763 هـ - 1361 م ) انظر دليل مؤرخ المغرب 1/208 رقم 815

17) الفه في كرامات ابي يعزى ، يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط ، ضمن مجموع

18) في الأصول ابا الحسن ، والتصويب من التشوف

19) يحيى بن محمد الانصاري السبتي ، من اهل الزهد والورع ( ت 600 هـ - 1203 م ) انظر ترجمته في التشوف ص 384 - رقم 198

20) يلنور بن ميمون الدكالي الهزميري العارف المشهور (ت 572 هـ - 1176 م) الف في مناقبه الصومعي كتابه « المعزى ، في مناقب ابي يعزى » . انظر ترجمته في التشوف ص 195 - رقم 77

21) ايوب بن سعيد الصنهاجي الملقب بـ «السارية» ، من الشيوخ اهل المعرفة كان شديد المراقبة والورع والخوف ( ت 561 هـ - 1165 م ) ، انظر ترجمته في التشوف ص 166 . 171 رقم 62 ، والاستقصا 2/184

قال المؤلف (عفا الله عنه) سألت شيخنا الفقيه الورع الزاهد المدرس اسحاق بن مطهر (22) الورياغلي المعروف بالأعرج (23) بمدينة فاس ـ حرسها الله ـ عن حياة الخضر ، فقال هو حي ، وكل من فيه خصلة من خصاله ، مثل الزهد ، والورع ، واليقين ؛ والصبر ؛ والرضى يراه ، وقد رايت من رآه في هذه الأيام

قلت وسترى في رسم الشيخ علي بن محمد المراكشي رضي الله عنه ، كيف رآه بمصر وبالميمون قبله ، وكيف علمه ثلاثة علوم ، وكيف كان يجالسه وهي حكاية عجيبة ما رايت في رؤية الخضر اتم معنى منها (24)

---

22) كذا في سائر الأصول ، وفي نيل الابتهاج ( مطر )

23) ستاتي ترجمته عند المؤلف

24) قال الحافظ ابن حجر وذكر لي شيخنا ابو الفضل العراقي ان الشيخ عبد الله بن اسعد اليافعي ، كان يعتقد ان الخضر حي ، انظر الاصابة ج 2 ق 137/1 .

# القسم الثالث

## يضمن التعريف بالمشايخ الأجلة من صلحاء الريف

### ابقى الله ذكرهم عتيد التشريف

كل ما ذكرناه فهو مقدمة ، والنتيجة المعتبرة هو هذا القسم ، لما قصدناه من ذكر المشايخ المستقرين بحوز الريف ، ما بين مدينتي سبتة وتلمسان ، كما قدمناه فلنحل كل واحد منهم تحلية ، كما صنعه الحافظ ابو نعيم في الحلية (1) وذلك مثل قوله وقد قيل ان التصوف تحقيق وتدقيق (2) وجعلت تخطيط كل واحد منهم وتحليته بسجع حسبما التزمته من الأبيات عقب ذكر كل شيخ منهم (3) رضي الله عنهم .

## فصل

1 ـ فأولهم القطب العارف الولي ، ذو الفضل الظاهر الجلي ، والقدر السمي العلي ، النائط (4) في جيد الأجادة اسنى حلي ، الذي كف اجتهاده من الراحة صفر خلي ، جابر الكسر ، والمنقذ من الأسر ، المتعطف المتلطف الراحم ، **ابو داود مزاحم** ؛ كان رحمه الله ـ تعالى ـ من كيس الكرامات منفقاً ، وبذوي الرياضة مرفقا ، وعلى المحتاجين مشفقا ، وقد قيل ان التصوف اشفاق وارفاق

---

1) يعني « حيلة الاولياء ، وطبقات الاصفياء » وهو اكبر موسوعة في تاريخ النساك والزهاد ، يشتمل على زهاء ثمانمئة (800) ترجمة ، في اربعة الاف صفحة مقسمة الى عشرة مجلدات قال فيه الحافظ السلفي لم يصنف مثله ، وقد تاثر به المؤلف ونهج نهجه

2) انظر الحلية 1/29

3) ولعل الذي اوحى اليه بذلك ابن الزيات صاحب التشوف ، كما يلمح في المقدمة ص 8

4) ناط الشيء : علقه .

حدثني حفيد حفيده الشيخ الزكي الزاهد الورع ابو عقيل (5) عبد الرزاق بن عبد الواحد بن الحاج الولي ابراهيم بن عيسى بن ابي داود ، قال اسم ابي داود مزاحم بن علي بن جعفر بن سليمان بن علي ابن ابي عزيز (بن) ابي حوبيل بن ورترد بن يصليتن بن بطوي ، وقيل بطيوة ، هم من وادي النكور من حوز (6) المزمة (7) الى وادي ملوية (8) قال وكان خرج جدي ابو داود من بلده بني ورترد الى الأندلس ، فأقام بها زمنا (ثم رجع) (9) ، فاتصل بالشيخ الزاهد ابي مدين المدفون بالعباد فهو شيخه (10) ورجع الشيخ ابو داود الى بلده بني ورترد من عند الشيخ ابي مدين ، فأقام بداره المعروفة بافلاس آخر ساحل ثغلال (11) وبين داره وبين المزمة خمسة فراسخ ، وبنى على ساحل البحر رابطة كان يتحنث فيها مع اصحابه وتلامذته وهي في مكان مخوف من عدو البحر المغتال للمسلمين

قال ابو عقيل حدثني شيخة" من اهلي وجيراني وحدثني جدي الحاج ابراهيم بن عيسى بن ابي داود - وكان ادرك ابا داود - قال استفاض عندنا ما اتفق لأبي داود مع العدو البحري (قصمه الله)

---

5) ستاتي ترجمته عند المؤلف رقم (40)

6) ظاهر عبارة المؤلف ان النكور غير المزمة ، وفي تاريخ ابن خلدون 6/440 ان النكور هي التي تسمى لهذا العهد بالمزمة

7) هي المعروفة الى اليوم بالحسيمة

8) هذ التحديد لبطوية ، ربما لا يدخل فيها بقوية وهو الذي يقتضيه صنيع المؤلف داخل الكتاب وابن خلدون يجعل من بطون بطوية : بقوية ، وبني ورياغل ، واولاد علي بتافرسيت انظر العبر 6/426

9) جملة ( ثم رجع ) ساقطة في النسخ التي بين ايدينا والاضافة من الاعلام لعباس بن ابراهيم ، وهي ضرورية لان ابا داود اخذ عن ابي مدين ، وهو بالمغرب بعد رجوعه من الأندلس

10) لم يذكر بن قنفذ في كتابه « انس الفقير » ابا داود في جملة اصحاب ابي مدين ، ولعله لم يصله ذلك

11) ذكره الادريسي في نزهة المشتاق ، وقال ان بينه وبين المزمة ( الحسيمة ) 12 ميلا . انظر الحلل السندسية لشكيب ارسلان ج 1/69 .

وذلك ان الشيخ ابا داود بات ليلة من الليالي في رابطته ، فحبسه العدو فيها وتحمل اسيرا في سلورة (I2) للروم ، فلما حاولوا المسير به ، توقف السلورة ؛ فما زالوا كذلك حتى اصبحوا وهم في موضعهم الذي كانوا فيه حين تحمـــل الشيخ ابو داود عندهم في السلورة فعلموا ان ذلك من اجل الشيخ ، فقالوا له قم فانزل ، فأنت طالق ، قال لهم لا انزل حتى تخلوا سبيل كل اسيـــر عندكم من المسلمين ، ففعلوا (I3) ، ثم راموا الحركة بالسلورة ، فلم تتحرك فاشاروا اليه بالضراعة والتذلل ان يخلي سبيلهم ، فأشار اليهم ان قد بقي في سلورتكم عصاي ، وقيل كان نعليه فلما ردوا عليه عصاه او نعليه نهض جفنهـم

قال ابو عقيل وما زال الشيخ ابو داود يعبد في رابطته حتى مات (I4) ، وحفيده جدي الحاج ابراهيم ، وما راينا فيها قط عدوا بحريا يتسور عليها ، وهي ظاهرة بارزة يراها كل من مر على الساحل (I5) ، قال : فيظهر ان امر الشيخ ابي داود انما كان في حق مَن استقر في تلك السلورة اسيرآ من المسلمين ، حتى خلصهم الله تعالى ببركته

قال ابو عقيل وحدثني عيسى بن حمو بن عبد الله اليصليتني ، وكان من جيران الشيخ ابي داود ، قال كف بصر الشيخ ابي داود في آخر عمره فرايته يوما وقد طرح جمته للشمس ، وحجل امامه يلتقطون القمل من ثوبه

---

I2) من مراكب القرصنة وردت هنا بلفظ (السلورة) ، وفي موضع آخر باسم (جفن) ولعل ذلك يعني قاربا كبيرا

I3) اورد ابو العباس الورديني في شرحه لسينية ابن باديس ، مثل هذه الحكاية لابي محمد صالح انظره ضمن مجموع بالمكتبة العامة بتطوان رقم (320)

I4) وكان من شانه ان يحيي الليل في رابطته ويتهجد فيها هو واصحابه وكان يؤمهم في ذلك تلميذه مركاب بن عيسى البلندي لحسن قراءته وكثرة عبادتـــه وستأتي ترجمة مركاب عند المؤلف رقم (2)

I5) انظر بقية الكلام على هذه الرابطة في الفصل رقم (5) ففيه ان النصارى نهبوا الدار التي بازائها ، وكانت ملأى بودائع الناس ، وكان ذلك بواسطة بعض المآجورين من جيران الشيخ .

حدثني يحيى بن علي الغصاصي (16) قال قال لي ابو علي عاينت زوجة الشيخ ابي داود الحجل تلتقط القمل من ثوبه ، فقالت له ـ على وجه المداعبة ـ اعطني حجلة واحدة من هذه الحجل فقال لها لا اعطي من حجلي شيئاً

قال ابو عقيل وكف بصر جدي ابي داود ، وكان سببه انه راى ماشية له تأكل عيون شجر له ، فساءه ذلك فهلكت الماشية من يومها وكانت معزا فناله من ذلك تغير قال يارب ان بصري قد شوش علي فاكفني شأنه قال فكف بصره من حينه

قال يحيى بن علي الغصاصي كان ابو داود لا يرى احدا يفعـــل معصية كبيرة او صغيرة الا هلك الفاعل فدعا الله ان يكف بصره ففعل وحدثني يحيى بن علي المذكور عن ابيه عن رجل من جيران الشيخ ابي داود اسمه يحيى بن لقمان قال اصابت دابتان من دواب ابي داود شيئاً مــــن زرعي فشكيت (17) ذلك اليه فقال كفيتهما فأهلكهما السبع تلك الليلة

وحدثني ابو عقيل قال اصاب امير المومنين (18) بمراكش ـ وهو احد اولاد عبد المومن بن علي ـ داء واظنه البرص فأعجز شأنه الأطباء فذكر له ان ببلاد بطوية شيخاً صالحاً يبريء الأدواء والعاهات فوجه اليه من يشخصه اليه على جواد رائع ، فلما بلغه الرسول بالأمر والفرس ابى ان يركب الفرس وقال ان دابتي تبلغني ـ وكانت اتانا ـ فقال له الرسول قد امرت باسراع السير ، فلا تستطيع مصاحبتي بهذه الأتان ، ولا يمكن ان اخلفك ورائي فقال له سر ، فما بت في منزل الا بت معك فيه ، قال : فأسرع الرسول ، فما بات في منزل الا وجد الشيخ ابا داوود فيه قد سبقه ؛ فلما بلغ الى مراكش ،

---

16) لعله نسبة الى غساسة وتكتب بالسين والصاد وهي من فروع بطوية انظر تاريخ ابن خلدون ج 233/6

17) لغة في ( شكوت ) واهمله الجوهري انظر التاج (شكا) ج 203/10

18) لعله ابو يعقوب يوسف بن عبد المومن ، حسبما يدل على ذلك تاريخ وفاة ابي داود (578 هـ) .

تقدم الرسول فعرف امير المومنين بوصول الشيخ ، وبما اتفق له معه في الطريق من كونه لا يبيت في منزل الا وجده فيه مع ضعف اتانه ، فسر بذلك امير المومنين ، فعلم انه صاحب كرامة ، فأمر بدخوله عليه ، ثم قال له ان بجسدي داء قد اعيا الأطباء وانا ارجو بركتك في برئه فأخذ الشيخ من ريقه بسبابته اليمنى وقال للأمير امسك يدي ومر سبابتي على المواضع التي في جسدك ، ففعل الأمير ما أمره به الشيخ ، فبريء من حينه فأمر له بمال جسيم ، فامتنع عن قبوله وقال ان عندي قدر الكف من تراب نصفه حجر ، فهو يغنيني عن مالك – يعني فدانا كان له بازاء داره – ، قال الراوي كان صحبه من اولاد يوسف ابنه فأتاه احد وزراء الأمير بقدر الصاع من الدراهم فقال له خذ هذه تستعين بها ، فقبلها منه في خفية من الشيخ ، فلما التحق بالشيخ أدار رأسه اليه ، وقال له اخذت صلته اماتك الله فقيراً قال يحيى بن علي بل كان قال له اخذت مال السلطان ياشيطان ، اماتك الله فقيراً قال فما تم عليه الحول حتى ذهب ذلك المال من يده ومات فقيراً حقيراً من بين سائر اولاده ، قال ابو عقيل وحدثتني جدتي ست البنات (19) بالدراهم التي قبلها يوسف ، وما كان من شأن فقره وفاقته

قال ابو عقيل وكانت عزيزة زوجة عيسى ابن ابي داود وهي ام جدي الحاج ابراهيم ، قد اسنت وكبرت ، وضعفت عن جميع الحركات والشغل الا الطحن فانها لا تبالي به ، وتطحن ما تطيقه الشابات ، فقيل لها في ذلك فقالت كنت عروساً في بيت عيسى بن ابي داود فدخل علي ابو داود يوما وانا اطحن زرعا لنا ، فوضع يده معي في الرحا فوجدت خفة للطحن فمن ذلك الوقت لا ابالي به قل او كثر ولا تنالني فيه مشقة

وحدثني ابو عقيل المذكور ، قال سمعت جدي الحاج ابراهيم يقول سمعت جدي الشيخ ابا دلود يقول كان موضع هذه الرابطة – يعني الرابطة التي اقام بناءها – مراحا لبعض جيراننا فكنت اصلي فيه ، فاذا جاء ربه ، وجد فيه محرابا مبنيا ، فيقول لي يا أبا داود من احل لك ان تبني محرابا في

---

19) لعله لقب لها ، والا فهي عجوز .

ارضي بغير اذني ؟ اتريد ان ترد ارضي مسجداً ؟ فأقول له ما بنيته ولا امرت به ، فيهدمه وينصرف ؛ فلما طال ذلك عليه وعلم صدقي ، قال : لعل الله اراد ان يكون فيه مسجد ، قد وهبته لله تعالى قال فبنى فيه ابو داود رابطته المعروفة التي اتفق له فيها مع النصارى القصة المتقدمة واتفق في بنائها بالآجر والخشب والزواق فأنفق فيها مالا جسيما اعانه فيها رجال صالحون موسرون نفعهم الله بذلك

وحدثني يحيى بن علي الغصاصي قال حدثني ابو موسى مركاب البلندي ـ وكان مركاب من اكابر تلاميذ الشيخ ابي داود ـ قال بلغ الشيخَ ابا داود ان الفقيه الصالح النزيه ابا زيد بن هبة ، وكان اخا ابي داود من الشيخ شيخهما واحد وهو الشيخ ابو مدين (20) بلغه انه اذا ضره احد دعا الله عليه فهلك في الوقت قال فوصل ابو داود الى الفقيه ابي زيد ببلاده مزيات من حوز فاس فقال له يا ابا زيد ، اصلح ولا تفسد

وحدثني ابو عقيل ، قال قال لي جدي الحاج ابراهيم لما احتضر جدي الشيخ ابو داود ، قال لي ياولدي ياابراهيم قد قبل الله دعائي فيك ، وانالني قرة عيني منك لكونك حفظت كتاب الله فعليك بتلاوة القرآن قال ابو عقيل وكان جدي الحاج ابراهيم قد مات ابوه جدي عيسى بن ابي داود وخلفه صغيراً في حجر جده ابي داود فرباه وكفله وعلمه كتاب الله تعالى قال وكذلك مات ابي عبد الواحد ، فخلفني صغيراً في حجر جدي الحاج ابراهيم ، رباني وكفلني وعلمني كتاب الله تعالى ، وكان خلف ابو داود الحاج ابراهيم ابن ثمانية عشر عاما ، وتوفي ابو داود رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، وفي حاله اقول مطابقا للمنقول

---

20) لم يذكره ابن قنفذ من بين اصحاب ابي مدين .

ظهرت محاسنه ولاح كمالـــــه وزكت ببر (21) في التقى افعالـه
في الجد ابدى السعي ناصر سنة فيها تتابع دائما اعمالـــــه
فالرشـد حليتـه وغايـة قصده قرب تنال به رضى آمالـــه
في العالم العلوي راية فخـره نشرت فعم الخافقين كمالـــه
جارى الجياد السابقات فبذهـا بفرية من فوقها اسحالـــــه
وارى الخليفة آية من برء ما عز الطبيب فناله اخمالـــه
رفع الوجود فعمه من وجـــده بشر تلألأ حسنُه وجمالُـــه
غنى وقد غسق الدجى لما سرى ركب الحبيب وارقلت اجمالـه
نصبت له اسماؤه وصفاتـــه شَرَكاً فصيد به المحب وماله (22)

## فـــصـــل

2 ـ ومنهم الصوام القوام ، المراقب على الدوام لم يـــزل الى الطاعات محثوث الركاب ، ودموعه دائما في انسكاب ، الشيخ القدوة المجتهد مركاب ، وهو مركاب ابن عيسى البلندي وبلند هو ابن يصليتن من بطوية ، وكان سكناه بعقبة تابلخاشت من بلد بني بلند ، وهي العقبة العظمى الحاجزة ما بين بلدي بلند وتمسمان ، كان رحمه الله في طريق الآخرة مجاهداً وفي محاسبة نفسه جاهدا ، ولأنوار الحقائق شاهدا ، وقد قيل ان التصوف مشاهدة ومجاهدة وهو تلميذ الشيخ ابي داود ، حدثني ابو عقيل ، قال : كان مركاب ابن عيسى البلندي ، حافظا لكتاب الله تعالى ، وكان تلميذ الجد ابي داود ، ومن شأن ابي داود انه كان يحيي الليل في رابطته ، اما اماما ، واما ماموما ، وكان يجعل مركابا إماما في تهجده اعجاباً بحسن قراءته وكثرة عبادته ، وكان يسكن بعيدا منه ، وبين منزل مركاب وبين الرابطة فرسخان او ازيـد

21) بعد كلمة (وزكت) بياض في نسخة ص ، وفي بعـــض النســـخ (بربي) والتصويب من الاعلام لعباس بن ابراهيم .

22) من بحر الكامل .

قال ابو عقيل حدثني الشيخ الصالح ، ابو مروان موسى بن زكرياء بن مركاب عن ابيه عن جده مركاب ، قال اتيت ليلة على العادة الى رابطة الشيخ ابي داود وهو يتنفل واصحابه خلفه فأخفيت نفسي فدخلت في غمار النـاس ، فلما سلم ابو داود ، رد راسه الى الجهة التي انا فيها ، وقال لي : قم يامركاب فصل بنا ، فعلمت انه كوشف بي ، فقمت وتقدمت وصليت بهم ؛ قال مركاب واتيت ليلة اخرى الى الرابطة المذكورة فلقيني في الطريق سبع عظيـــم ، فهمهم الي ـ كانه يكلمني ـ فلما دخلت على الشيخ ابي داود ، قال لي : ما قال لك ذلك السبع الذي لقيك في الطريق حين همهم اليك ؟ فقلت له لا ادري ، فقال لي انه قال لك ابلغ السلام الى ابي داود ، قال يحيى بن علي ـ وكان حاضرا في مجلس ابي عقيل حين حدثني الحديث ـ زاد الشيخ موسى ـ روايـــة عن ابيه ـ ان مركاباً قال قال لي الشيخ ابو داود وذلك السبع هو الحاج حسن البقويي (23) ، تمثل لك على صورة سبع ! وانشدت في تصوره وتطوره

| | |
|---|---|
| الف التصور والتطور وهو في | طور المعارف واحد متوحـــــد |
| طورا يرى اسدا وطورا طائرا | ومتى تراه الشكل فهو الواحد |
| خرق العوائد للولي مقـــــرر | عند اللبيب وقد اباه الملحـــد |
| قامت قيامتُه فألحده التقــــى | في لحد نسك لا يراه الملحـد (24) |

# فـــــصــــــل

3 ـ ومنهم المحقق العارف ، ذو الحقائق والمعارف ، الزاهد في كل تالد وطارف ، الغني بخشين الصوف عن لين المطارف الحائز في الفضل جميع الفصول والأنواع والأجناس اسماعيل ابـن سيـد الناس البطويي ، من بني عيسى كان رحمه الله معدن اسرار ، وقادح شرار ، ومنير سرار اجد فوجد ، وجاد فأجاد ؛ وقد قيل ان التصوف وجود" وجود

23) تاتي ترجمته عند المؤلف في الفصل رقم (6) بعد هذا

24) من بحر الكمال .

حدثني عنه جماعة ، منهم الشيخ موسى بن عبد السلام ، انه كان صاحب كرامات ، قد شاهدها الخاص والعام ، وهو تلميذ الشيخ ابي داود استقر بالموضع المعروف بتازروت من بلاد بني عيسى ، وبها مات وقبر بهـــا في روضة قبلة المسجد الذي هناك بخارج الحصن ، وذلك الحصن معقل مانع ، ينحصر فيه بنو عيسى عند تغلب القبائل عليهم فتحيط بهم القبائل من جهة روضة الشيخ اسماعيل فان خرج بنو عيسى عن حيز الروضة نال منهم اعداؤهم ما شاءوا من قتل وسبي فاذا قاموا في حوز الروضة ووصلهـــم اعداؤهم ، نال منهم بنو عيسى ما ارادوا من قتل وسبي ؛ فاذا تكاثرت الوفود وراموا افتتاح الحصن والتغلب عليه ، كان حد مبلغهم الروضة ، ثم ينهزمون عند وصولهم اليها ، وربما كبروا عند ذلك ، وقالوا يابركة سيدي ابي ابراهيم

حدثني موسى بن عبد السلام قال خرج ابو عبد الله اليستثنـــي من بلاد بني يستثن ، وهو صغير يتيم ، فركن الى جبل بني عيسى فضمه بعضهم ، فاستأجره على رعي غنم ، فحبَّب الله له الطاعة ، فكان يصوم النهار مستخفياً ، ويتصدق بغذائه وربما واصل الايام ويتصدق بغذائه وعشائه ، وهـــو لا يعرف اصل ذلك من حاله فكوشف به الشيخ اسماعيل ، فاستدعاه بعـــد تمام مدة اجارته وضمه اليه تلميذا له فظهرت عليه بركته في اسرع وقت وكراماته كثيرة وفي معناه اقتضبت

| | |
|---|---|
| بدر بدا والليل ساج فاهتـــدى | بسناه في البيداء سارى الغيهب |
| اهدى الهدى لمن اقتدى فجرى عل | ما راق من سنن قويم المذهب |
| ما ارتاح من غلوائه متبختـــرا | زهوا ينير بمتن طرف اشهـــب |
| كلا ولا ركب الهوى جمـــلا ولا | والى عداء في تصيد قرهـــب |
| ما كسبه الا المعارف تجتلـــى | درراً ، ولكن لا كدرٍ منهـــب (25) |

---

25) من بحر الكامل .

# فـــــصـــــل

4 ـ ومنهم المستتر بحلية العوام الجاري في خلواته (26) على منهج القوام ، رائش سهام العبادة لكل لوام ، القاطع عذل العذال ولوم اللوام. المتعوض (27) بتوحشه عن الناس من الايناس الشيخ **محمد بن دوناس** وهو من قبيل بطوية ، ومن تلاميذ الشيخ ابي داود كان رحمه الله تعالى يلبس على العامة بالتبذل في اللباس مباعدا في احواله للشك والالتباس متأنساً بالتجرد متلذذاً بالتفرد وقد قيل ان التصوف تجرد وتفرد

حدثني ابو عقيل ، قال سمعت جدي الحاج ابراهيم يقول كان محمد ابن دوناس من الأولياء وكان يتستر بلباس العامة من البرابر كساء صوف مطرفة الأجوان ، ويعمل على راسه جلموسا غليظا ، ويتقلد بسراف ـ وهو سكين كبيرة ـ فمن لقيه قال هذا لص او محارب ، كان يصلي الصبح بوضـــوء العشاء الأخيرة قال الحاج ابراهيم كنت معمور الباطن به اريد لقاءه ولا اعرف له موضعا اقصده فيه ، قال فاتاني يوما زائراً ، فسلم وقعد وهو على هياته التي وصفت فعرفته بهياته ، وسررت به ، فقال لي احس صداعاً في راسي فجئني بحناء قال فجئته بها في آنية جديدة فجعلها في راسه ، وشد عليها جلموسه ثم صلينا العشاء الأخيرة فقال لي اصعد على السريـر لتنام ، فقلت له اصعد انت ، فقال لي دعني هنا فتركته على حاله وصعدت ونمـت ، وهو متوجه الى القبلة ، وكلما افقت وجدته على هيأته من التهجد ، وسمعته يتأوه تأوه الحزين ، حتى طلع الفجر وصليت معه الصبح ولم اره جدد وضوءه ، ثم اقام الى صدر النهار معي ، ثم انصرف

---

26) في ص خلوته

27) في النسخ التي بين يدينا (المتوعظ) ، والصواب (المتعوض) كما لا يخفى .

قال ابو عقيل وغاب في بلاد بطوية سائحا في صنهاجة من حوز بادس ، فمات في خربة من جبل بني جميل ولم يعلم به احد من اهل تلك الجهة ، فعرف به بعض الصالحين في النوم ، فأتى اليه حتى وقف على مصرعه ، وعرف به الناس فغسله الصالحون وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه رحمة الله عليه ونفع به وقد قلت في حاله وسري انتحاله

لقد هاجروا الأوطان يرجون وصله فماتوا بقفر لا يحس بهم خلق
تواصوا باعداد المسير فأوجفت خيولهم الغر المسومة البلق
شمائلهم تسقى شمول مواهب ووجه رضاهم في تصرفهم طلق
لقد تاهت الدنيا بحسن جمالهم وطار لهم ذكر وطاب لهم خلق(28)

## فصل

5 - ومنهم العابد الزاهد المرابط المجاهد المجد الجاهد المراقب الشاهد الذي قام له في التلاوة اعدل شاهد المدمن على تلاوة المحكم الناطق بالحكم الحاج **ابراهيم بن عيسى بن ابي داود** اختصر الاقلال ، واقتصر على اكل الحلال وقد قيل ان التصوف اقتصار واختصار

حدثني عنه حفيده ابن ابيه ابو عقيل عبد الرزاق قال اقام جدي الحاج ابراهيم بعد جده ابي داود في الرابطة ، ساكنا في دار بازائها على ساحل البحر ، وكنت تحت حجره وفي كفالته ، وعلى الساحل بمقربة الرابطة ، عنصر ماء يقصده النصارى يستقون منه ، فما قدر قط احد منهم ان يصل الى دار الحاج ابراهيم ؛ فخرجت جدتي يوما في الساحل لتسقي الماء من العنصر ، فوجدت ترسا من عدة نصارى البحر ، ولم يزل الحاج ابراهيم ساكنا في تلك الدار ، ما راينا قط منها مكروهاً من النصارى

---

28) من بحر الطويل ، وهي ابيات جميلة لا بأس بمعانيها ، وهي غير متكلفة ، كما هو اكثر نظمه .

قال فأتاه يوما جماعة من العرب المتغلبين على الريف حين ضعف امر الموحدين فيه (29) وكان اولئك العرب يجبرون الناس على مغرم ياخذونه فطلبوا قبيل بني ورترد بالمغرم فأبوا عليهم وتمنعوا ببعض معاقلهم بساحل البحر ، فقال العرب للحاج ابراهيم حاول الصلح بيننا وبينهم ، وارادوا منه الوصول اليهم . فامتنع كل الامتناع ، فلما ألحوا عليه ، قال اللهم لا ترده من عندهم قال فتوجه الي جماعة بني ورترد وعرفهم بما طلبه العرب منهم فأبوا من الانقياد اليهم ، فكر راجعا على الساحل ، فوقع في رضك (30) النصارى فأخذوه اسيراً واقام ببلاد النصارى دون الثلاث سنين

قال ابو عقيل وفي مدة اسره كانت مجاعة شديدة في بلادنا كان بعض الناس يسلمون انفسهم للنصارى ليشبعوا عندهم الطعام ، فأتت سلورة الى ساحلنا فطلع فيها بعض جيراننا وكانت دار الحاج ابراهيم مملوءة ودائع وكان النصارى يرونها نهارا فاذا قصدوها ليلا وجدوا عليها شبه سور لا يقدرون على اقتحامه ولا يجدون له بابا فلما تحصل عندهم ذلك وقصدوا الدار ليلا وشاهدوا من حالها ما ذكر قال لهم وما يمنعكم ان تقصدوها نهاراً ؟ فقالوا له نخاف الغوث ، فقال انه لا غوث لها وهذه البلاد خالية من اجل الجوع فتجاسروا وقصدوا الدار نهارا ففررنا منهم ودخلوا الدار واستأصلوا جميع ما في الدار

/ قال ابو عقيل حدثتني جدتي ان جدي الحاج ابراهيم بقي سبعين ليلة على سبعين حبة من تين ، كان نظمها في حبل وعلقها في البيت ، فكان يفطر كل ليلة على حبة واحدة قالت فزاره بعض اصحابه من الصالحين ، فقلت هلا كلمت هذا الرجل ليشفق على نفسه ، فاني اخاف عليه من الجوع فكلمه ذلك الرجل ، فقال له ان الدنيا جيفة ، فمن اضطر اليها حلت له ، وانا غير مضطر اليها

---

29) وسياتي بعد هذا ان تغلب العرب على الريف كان سنة (635) على عهد الرشيد الموحدي انظر تاريخ ابن خلدون 6/59 — 60

30) يعني في كمين للنصارى ، ولا وجود لكلمة (رضك) في كتب اللغة وورد في القاموس (ارضك) من الرباعي : اغمض عينيه وفتحهما .

قال بعضهم وقصده يوماً ياسين بن الوزير الوطاسي (31) في جماعة من بني وطاس حين تغلبهم على بلاد النكور وكانت تلك السنة شديدة المجاعة قال ياسين بن الوزير وكان لنا ايام لم نذق فيها الطعام فقلت لاصحابي ما تجدون طعاما في هذه البلاد الا عند الحاج ابراهيم ، فسرنا اليه ، فلما وصلنا منزله ونحن مظهرون زيارته خرج الينا فسلمنا عليه واردنا منه الدعاء والانصراف ، قال لنا اقعدوا حتى نصنع لكم طعاما قال ياسين وذلك كان القصد ، ثم دعانا الى منزله فقدم الينا شيئاً يسيرا من الطعام والادم قدرت في نفسي ان آكل منه عشرة امثاله ، اذا كنت شبعان وكذلك قدر كل واحد من اصحابي فسمى الله تعالى وقال كُلوا فأكلنا حتى شبعنا شبعا مفرطا ثم قال كلوا فأكلنا حتى لم نستطع زيادة ثم قصدني وقال لي كل فانك ما قدرت ان تشبع قال ياسين وان الطعام الذي قدم والادام لباقيان على حالهما

قال ابو عقيل كان الحاج ابراهيم لا يفتر عن تلاوة القرآن ليلا ولا نهاراً لا في قيامه ولا في قعوده ، ولا في مشيه وعاش رحمه الله تسعين سنة وتوفي سنة خمسين وستمئة وكان مولده سنة ستين وخمسمئة وكان تركه ابوه داود في ثماني عشرة سنة ، ومات ابوه داود سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، ودفن الحاج ابراهيم بموضع من تمسمان يعرف بوروجن وهو امر بذلك ؛ وكان ذلك الموضع لبعض الصالحين وحبسه على المنقطعين الى الله تعالى فمن اجل ذلك كان يسكنه ، ومن اجل ذلك اوصى ان يدفن فيه وفي وصفه اقول

جد الفتى في السعي طالب غاية فأتاه ما يرجوه طوعَ عنانـــه
جعل التقى زادا وام منـــازلا ملئت برحمى ربه وحنانــــه
والى تلاوة محكم فتفجــــرت حكم العلوم بصدره وجنانـــه
وابر في معنى التقشف مظهرا فيه نما المطعوم سر بنانــه
ان جاءه احدٌ يرومُ قتالَـــه قام الدعاء له مقام سنانــــه

---

31) بنو وطاس من ابناء عمومة بني مرين ، ولما استولى بنو مرين على المغرب واقتسموا اعماله ، بقيت بلاد الريف تحت نفوذ بني وطاس . انظر الاستقصا ج 3/72 .

كَسي المهابةَ والجلالةَ فانثني ... والأسد لاجئة" الى اكنانــــه
ما انفك في رفض الهوى مترقيا ... فوق الهواء مصاعدا لعنانــه (32)

# فــصــل

6 ـ ومنهم الشيخ الجليل القدر الفسيح الصدر سباق الغايات ، وصاحب الكرامات والآيات المختص بالسر المكنون والحال المصون الذي ابتنى من كل مستحسن معاقل حصون **الحاج حسّون** كان رحمه الله تعالى كثير الصيانة ، جميل الديانة ، وقد قيل ان التصوف ديانـــة وصيانة وهو من جبل بقوية وشيخ المشايخ بالريف ومنزله على ثلاثة فراسخ من بادس وفي منزله جامع الخطبة ، وكراماته كثيرة وقد قدمــت في رسم مركاب ، كيف تصور له على صورة سبع

حدثني الشيخ عثمــان بــن داود بــن المعلم عبــدون قــال كان جدي عبدون صغيرا قد كفله الحاج حسون ، فقعد يوما بعد صلاة الصبح يذكر الله في المسجد والمعلم عبدون بحذائه فضمه اليه وادخله تحت اذيال برنسه ، قال المعلم عبدون فرايت صدعا في حائط المسجد فيه خضرة قد اخضر منها المسجد واذا برجل قد دخل من ذلك الصدع وعليه ثوب اخضر ، فقام اليه الحاج حسون وعانقه قال عبدون فأردت القيام معه ، فزجرني من ذلك ، فلما انصرف الرجل ، قلت ياسيدي من ذلك الرجل ؟ قال لي هو من اصحابنا من قوم يونس صلى الله عليه وسلم

---

32) من بحر الكامل .

وشيخ الحاج حسون في قول عثمان بن داود ، احمد الرفاعي (33) ، وقد قدمت ان شيخه ابو داود ، وهو الصحيح ؛ لأن الحاج حسون لم يدرك (34) الرفاعي لأنه كان شيخ بغداد في زمان الشيخ ابي مدين فيحكى من غير رواية اجتمعا بعرفة ، فخلع الشيخ ابو مدين القرمزية على الشيخ احمد الرفاعي وخلع احمد علي ابي مدين البركين وبعض الناس يقولون ما اجتمعا بالأجسام قط ، وانما كان اجتماعهما بالأرواح ، والله اعلم وفي معنى ذلك ابتدهت

| | |
|---|---|
| اذا وضح النهار فهل مزيـــد | عليه لطالب نورا مبينـــا |
| غنينا عن مطالعة المعانـــي | لعرفان به قدما حبينـــا |
| وما زالت سماء الخير قدمـــا | تخصص بالمعالي الراغبينـــا |
| فأهل الحق قد فازوا وحــازوا | محامد لاتنوء الطالبينـــا (35) |

# فـصــل

7 - ومنهم العلامة العلم ، المنير ما تراكم من دياجي شكوك وظلم ، المتصرف بين صادق حال واعمال قلم ، الغني بجلي مكاشفته ، ومقيد مصنفاته ، عن عيافة الكهان وزجر الغربان المتقرب الى الله تعالى في جميع عمره بأفضل القربان الشيخ الأوحد **ابو القاسم بن الصبان** ، كان رحمه الله عالماً

---

33) ابو العباس احمد بن بن يحيى الرفاعي الحسني ، الامام الزاهد مـــؤسس الطريقة الرفاعية ( ت 578 هـ ) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان 55/1 ، ومرآة الزمان 370/8 وطبقات الشعراني 121/1

34) لعل الانسب في العبارة ان يقول لم يثبت ان الحاج حسون سافر الـــى المشرق واتصل بالرفاعي ، والا فهو ادرك ابا داود واخذ عنه ، وقد عاصر ابو داود ابا العباس الرفاعي ، وماتا في سنة واحدة (578) او قريبا من ذلك ، وياتي للمؤلف ان بعض الشيوخ ذكر ان الحاج حسون قد اخذ عن الرفاعي بواسطة ، وناقشه الراي ، كما سنرى ذلك بعد

35) من بحر الكامل .

بالتصوف ، غير مائل الى الجلال والتشرف ، لبس من التوكل شعاراً ودثاراً ، وابقى في طرس المحاسن للتوحيد آثاراً ، وفوض الى الله في كل شيء وسلم ، وتعلم محاسبة النفس وعلم وقد قيل ان التصوف تعليم وتسليم

حدثني عنه ابنه الشيخ الصالح محمد ، قال كان ابي من اهل مدينة فاس فانتقل عنها مرتحلا الى المشرق ثم رجع من المشرق فاستوطن مدينة سبتة اعادها الله الى الاسلام (36) – الى ان مات بها قال ابنه المذكور كنا معه يوما في رابطة الصيد وجماعة من الناس ، فقال خطر لي الآن العوم في البحر بجمعنا ، فقال الحاضرون سمعاً وطاعة ، فنزلنا الى البحر وعمنا فلما خرجنا من البحر اقبل على رجل من الجمع سراً ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ، جامعت اهلك ثم اتيت الى المسجد جنبا لا تعد فاني انما امرت اصحابنا ان يعوموا من اجلك

قال ابنه حدثني الرجل الذي فعل ما فعل بما كاشفه به الشيخ بعد انصرافه عنه ، قال وكنت اذا ممن حضر العوم في البحر

وحدثني ابنه قال قال لي ابي لما قصدتُ التوجه الى المشرق لأداء الحج ، طلعت في مركب المسلمين ، فسرنا في البحر اياماً ، فعصفت علينا الرياح وهاج البحر والقتنا الرياح الى جزيرة بعد مشقة فنزلنا بها فوجدناها مخصبة وفيها ماء معين ، فاقمنا على ذلك الماء عامة يومنا ، فلما كان العشي اخذ اهل المركب في الطلوع الى مركبهم ، فخطر في نفسي ان اقيمَ في تلك الجزيرة متجردا للعبادة مصححا لحال التوكل ، فاعتقدت الاقامة ، فلما لم يبق من القوم الا الرئيس وانا ، فقال لي : قم بنا ، فقلت له اريد الاقامة هنا ، فقال لي اظنك مصابا في عقلك ، اني ما زلت طول عمري اسافر في البحر ، فما مررت قط بهذه الجزيرة ولا رايت من اخبر عنها ، فقلت له انصرف فلا

---

36) هذا دعاء من الناسخ وليس من المؤلف ، كما توهمه العبارة ، فالكتاب فرغ منه مؤلفه سنة (711 هـ) ، ومدينة سبتة قد احتلت سنة (818 هـ) اي بعد تاليف الكتاب بنحو مئة سنة .

احل عقدا عقدته مع الله تعالى فسار وراجعني مرات كثيرة فلما يئس مني توجه الى مركبه ، ثم ظل يشير الي ان هلم فأشير اليه ان سر فلما اقلع المركب وايست منه تمشيت في الجزيرة فوجدتها فسيحة واردت مكانا منها استقر فيه فوقع بصري على خيمتين وعجوز (37) قاعدة الى جانب احداهما فلما بصرت بي نفرت ثم توقفت وقالت انس او جان ؟ فقلت لها إنس ، فقالت لي وما جاء بك الى هذه الجزيرة ؟ فقلت لها قصتي فتأنست بي فقلت لها وما شأنك انت في سكنى هذه الجزيرة ؟ فقالت ان لي ابنا وعندنا غنيمات سكنا بها هنا نلتمس الحلال ، فقلت لها واين ابنك ؟ قالت قد راح يرعى تلك الغنيمات فلما قرب الغروب اقبل ابنها بالغنيمات وهو شاب فلما ابصرني نفر مني فتبعته امه وعرفته بالقصة فأقبل حتى وقف وسلم علي ثم اذن وصلينـــا المغرب واقمت معهما فلما كان آخر يوم من شعبان ورأينا هلال رمضـان ثم نظرت الى رجل قد اقبل على البحر فلما قرب منا ورآني نفر فقام اليـــه الشاب وعرفه بقصتي فأقبل وسلم ثم اذن الشاب وتقدم الرجل الوارد فصلى بنا المغرب ثم صلى بنا العشاء الأخيرة ثم قام بنا الليل كله حتى طلع الفجر فما زال طول شهر رمضان يقوم بنا الليل كله من العشاء الى الفجر فلما صلينا العيد ودعنا وانصرف ،واقمت انا مع الشاب على حالنا فـــي الجزيرة فلما كان آخر يوم من شعبان من السنة المقبلة ورأينا الهلال عشية هلال رمضان ، واقبل الرجل على عادته على الماء فأحيا به الشهر كله على العادة المتقدمة فلما صلى بنا صلاة العيد واراد الانصراف قلت للشاب قد كنت خرجت برسم الحج وقد تعبدت هنا ما شاء الله فأريد الانصـراف فكلم لي هذا الرجل عساه يحملني معه الى البر المتصل ، فقام اليه وكلمه فقال نعم بسم الله قال فودعت الشاب وامه وسرت خلف الرجل اضـــع قدمي حيث يضع قدميه فأحس الماء تحت قدمي مثل الرصاص ، فلما خرجنا من البحر ، سار معي قليلا حتى عثر بنا على طريق جادة ، فقال لي هذا هو الطريق نسر عليه ، فيسر الله علي ، وقضيت فرض الحج ورجعت الى مدينة فاس فكنت يوما في صحن جامع القرويين فرايت صاحبي الذي كان انقذني مـــن

---

37) في الأصول عجوزة ، والصواب ما اثبته (عجوز) .

الجزيرة وعليه ثياب فاخرة من ثياب العامة فقصدته فأسرع امامي ودخل الجامع ، فأدركته بين الأساطين ، فوقف وسلمت عليه وتعرفت حاله فوجدته احد اعيان فاس المتسترين بالعبادة ، فقال لي لا تعرف احداً بما وقع بيننا نفع الله بهم اجمعين

قال ابو عبد الله حدثني ابي رحمه قال مررت ببعض الروابط التي في ساحل برقة على البحر فرايت بازائها عين ماء فأقمت فيها متجرداً للعبادة سنة ، وكنت اذا جعت اجد على الساحل في الضريح شيئاً شبه القسطل فأتقوت به ، ولم ار في تلك الرابطة طول السنة احداً غير شخص واحد ، كنت ليلة من الليالي متوجهاً في الرابطة في السحر ، فدخل علي رجل عليه زي حسن جدا وفي رجليْه قباقب فسلم علي وحيا المسجد فلما سلم وقع عندي انه ولي فقال لي ابتداء من غير ان اعرفه باسمي ياعبد الرحمان ، ما يوجد واحد من ابناء الدنيا يعطيني الف درهم ويزوجني ابنته ؟ فسقط من قلبي ، وقلت انا الآن في حالة لو عرضت علي (الدنيا) (38) بما فيها لأعرضت عنها ثم قام قليلا وانصرف فظهر لي بعد ذلك ، انه انما قال تلك المقالة ليستر على حاله قال الشيخ فوجدت زحافاً للسفر في الوقت فسافرت فلما دخلت الاسكندرية ذكر لي ان فيها شيخين جليلين يربيان الفقراء احدهما ابو يزيد الدهماني والآخر عبد الرزاق الجزولي قال فاعتقدت ان امشي الى الشيخ ابي يزيد ، فبينما انا في الجامع اذ اقبل الي شيخ فسلم علي وقال لي قم معي الى الزاوية ، فقلت له مَن انت ياسيدي ؟ فقال لي عبد الرزاق الجزولي ، فقلت له انما جئت برسم ابي يزيد الدهماني ، فقال لي نحن واحد ، قال فقلت في نفسي ولي من اولياء الله تعالى يخاطبني وارده ، هذا سوء ادب فمشيت معه الى زاويته وادخلني الخلوة ، فلما كان يوم الجمعة صليت في الجامع واقمت به ، فوقف علي الشيخ الذي كان دخل علي في الرابطة في برقة ، فسلم علي ثم قال لي : ياعبد الرحمان

---

38) كلمة (الدنيا) ساقطة في النسخ التي بين ايدينا ، والمعنى يقتضيها ، ولذا اثبتها في الصلب وجعلتها بين قوسين .

اما تعلم ان هذه الطائفة تعمل على الخاطر الأول ؟ فقلت له مَن انت ياسيدي ؟ فقال ابو يزيد الدهماني فعرفته بما جرى لي مع الشيخ عبد الرزاق ، فقال لي الحق ما قال لك ، نحن واحد ، ثم دعا لي وانصرفت الى زاوية ابي محمد عبد الرزاق ، فأقمت عنده الى ان فتح الله علي ببركته مما فتح ، وكنت اسمعه يقول مررت ببلد المغرب فما قرع سمعي فيها مثل كلام رجل يفسر الكتاب العزيز بقصر كتامة اسمه عبد الجليل بن موسى قال فلما رجعت الى المغرب قصدت زيارة عبد الجليل ، فرايته رجلا عالما فأقمت عنده سبعة ايام ، فاول ليلة بت عنده فاستلقى بعد العشاء الأخيرة واستفتح الكلام في شرح سورة (ق) فأقمت عنده السبع الليالي وهو يتكلم في معنى حرف القاف

قال المؤلف رايت بيد الشيخ ابي عبد الله ابن الشيخ ابي القاسم سفراً في شرح اسماء الله الحسنى بخط الشيخ ابي القاسم ذكر ابنه انه جرد ذلك من تفسير ابي عبد الجليل للكتاب العزيز ، وان ذلك التفسير في ستين مجلداً سفر واحد في تفسير حزب واحد

وحدثني الشيخ ابو عبد الله الدباغ ، وكان شيخ مدينة سبتة في وقته وهو تلميذ الشَيخ ابي القاسم ، قال كان الشيخ ابو القاسم يقريء التصوف بمدينة سبتة ـ اعادها الله الى الاسلام ـ في مسجد المحلة ، قال فوقعت مجاعة شديدة فقطع الاقراء ولزم بيته ، فما يخرج الا الى الصلاة ، فقال كنت ادخل عليه الى منزله واتصرف له في بعض ضروريات احواله ، قال فما سألني قط عن سوء الطعام ولا ما بلغ السعر ، حتى انقطعت الجماعة

وحدثني ابنه ابو عبد الله قال كان ابي حال اقرائه التصوف يفضل ابا حامد الغزالي على ابي طالب المكي ، قال : فنام ليلة فراى نفسه في مسجد وشيخ بهي وضيء جالس مسندا الى القبلة ، فدخل رجل من الباب ، فرد يديه الى خلفه وعقدهما شبه المتكتف ومشى حتى قبل يد ذلك الشيخ الجالس ، ثم رجع القهرى الى خلفه ووجهه مقابل الشيخ ، فلما بلغ الي قال لي : اتدري من ذلك الشيخ ؟ ومن انا ؟ قلت : لا ، قال : ذلك الشيخ

هو ابو طالب المكي ، وانا ابو حامد الغزالي وقد رايت حالي معه فلا تفضلني عليه

وحدثني ابنه ابو عبد الله ، قال لما استقر عبد الحق ابن سبعين المرسي بسبتة ، اظهر التصوف ، فكلفت به امراة موسرة فتزوجها ، وانفقت عليه مالا وبنت له زاوية في داخل دارها فشاع امره وانه فيلسوفي ، فنفاه ابن خلاص(39) من سبتة وقال وكان ألف بمدينة سبتة كتابا لم يطلع عليه غيره ، فقال لـــي يوما ان سيدي ابا القاسم والدك قد كاشفني بمكاشفة ، وهي اني ألفت كتابا ما اطلع عليه احد ، فأخبرني به ، قال ابو عبد الله فذكرت ذلك لأبي ، فقال لي: ذلك الكتاب كتاب سوء ، وامرته ان يمزقه فما فعل قلت واظنه الكتاب الذي ظهر له بمغربنا الذي سماه « بد العارف » ، وهو كتاب مذموم فيه هذيان كثير ، وكفاه قبحا ان سماه البد والبد في اللغة الصنم ، وقيل هو الاصنـــام قال المعري

ومفيد القلب من اهوائـــــــــه ما يفيد الكافر من بـده (40)

فالعجب ممن ينتمي الى الحذق والنباهة كيف يجعل للمعارف - بدا - اي صنما ، واين هذا من قول الجنيد وقد سئل عن العارف ، فقال لون الماء لون انائه ليس له وصف يتصف به ، فان قيل اراد ببده ما لا بد له منه قيل له العارف لا يحتاج الى شيء

وحدثني الشيخ ابو عبد الله عن ابيه الشيخ ابي القاســـــم انه قال احتجت الى سكنى دار بمدينة فاس وانا مفرد واردت داراً اسكنها وحدي فما وجدت الا داراً ذكر السمسار انها موحشة مفزعة

---

39) ولعل ذلك لامور انكرها الناس عليه ، كما يدل على ذلك ما يذكره المؤلف عن ابي القاسم الصبان في بعض كتبه وكانت ولاية ابن خلاص على سبتة ايام الرشيد الموحدي قال ابن عذارى في البيان المغرب ج 343/3 وولى الرشيد على سبتة ابـا علي بن خلاص ، وكان ذا وفاء واخلاص »

40) انظر ديوانه « سقط الزند » ص 25 ، والبيت من بحر المديد .

لا يقدر احد على سكناها وكل من بات فيها ليلة لا يعود اليها ، فالتزمت كراءها منه على الشرط وسكنتها فلما كان بعد العشاء قمت اتهجد فسمعت صعقا عظيما في وسط الدار ، واصواتاً مهولة ، فما عرجت على ذلك ، ثم دخل علي في البيت تمثال ثعبان كبير فما التفت اليه واقبلت على صلاتي فتلاشى ذلك الثعبان ، وبعد ساعة دخل علي شخص على صورة آدمي ، فلما فـرغت من الصلاة قلت له من انت ؟ قال انا من الجن المؤمن ، ونحن ساكنون بهذه الدار ، قلت له فما شانكم تسيئون جوار من سكن معكم ؟ قال انما يسكن معنا من لا خلاق له من شراب الخمر والمستهترين بالمعاصي فنختبرهم بما رايت قال فأقمت في الدار مدة معهم وكانوا ياتون في جوف الليل فيصلون خلفي بصلاتي قال فتذكرت ليلةً قولَه تعالى طلعها كأنه رؤوس الشياطين » (41) فاستعملتُ ان وضعت يدي على راس احدهم مظهراً له اني اقربه الي فوجدت راسه كأنه شوك القنفوذ ، قال واظهر لي كنوزا في تلك الدار ، وسألوني الآخذ منها فما عرجت عليها ، وفي معنى مقامه ، قلت

| | |
|---|---|
| الأنس بالله العظيم وذكـــره | مما يزيد اولي التقى ايمانـــا |
| من كان نور الحق ايـده غـدا | ولهانَ من شغف بـه هيمانـا |
| سر الحقيقة لا يفوز بنيلـــه | غير امرىء متسربل كتمانـــا |
| سعد الذي جعل التبتل دائمـا | للمقتني من صالح اثمانـــا |
| لا يحرزُ الفضل المبين سوى الذي | ملك العلوم مطهرا جثمانـــا |
| واذا تألف للتقى علم فقـــد | ساوى من الزيغ المخوف امانا |
| نظمت يداه من الرشاد بجيـــده | شذرا تزين بالرضى وجمانـا (42) |

---

41) الآية 25 سورة الصافات .

42) من بحر الكامل .

# فـــصـــل

8 ـ ومنهم المبديء المعيد السائح في كل مهمه بعيد الحائـز لكل فضلٍ شريف وحظ سعيد المفترش طول حياته اديم الصعيد ، **الحاج سعيد** ؛ لم يزل في دهره سائحا ، وعلى نفسه في مأتم المجاهدة نائحا وقد قيل ان التصوف نياحة وسياحة ، وهو من قبيل مسطاسة بقرب من بادس ، وكان متجرداً للعبادة وسائحاً في البراري وزاهداً في الدنيا وفي التنعم بملاذها اقام ثلاثين سنة لم يأكل طعاما وانما كان يعيش بالنبات والمباح وكان صديقا لجدي احمد بن محمد بن الخضر الخزرجي الغرناطي حدثتني عمتي زينب بنت احمد قالت كنا ليلة نائمين بمنزلنا ، فقرع الباب علينا في جوف الليل ، فخرج ابي احمد ففتح الباب ثم رجع الى امي فقال لها قومي فاصنعي طعاما ، فان هذا الرجل الذي اتانا هو الحاج سعيد المسطاسي وهو من الأولياء ، فقالت له امي كل من اتاك تقول هذا ولي لا اصنع له شيئا ، قالت. ولم يكن عندنا غير شعير فأوقد الشيخ ابي النار وسخن الشعير وطحنـه بيده ، وصنع منه عصيدة ، فلما وضعها بين يديه قال له يافقيه ابا العباس اما علمت ان لي ثلاثين سنة لم اذق فيها الطعام عقدته على نفسي لا يمكنني حله وفي مثل حاله انشأت

| | |
|---|---|
| زهدوا يريدون النجاة فاصبحوا | وطعامُهم في الأرض نبت" يابـس |
| وتسربلوا فيها ثياب مجاهـــد | وكما عليهم للرشاد ملابـــس |
| مالوا عـن الشهوات في الدنيا فما | لهم سـوى التوفيق شيء حابـس |
| يا قابسا من نورهم عزما الى | ما تبتغيه فانت نعم القابـــس |
| فجنانهم من كل سهو سالـــم | ولسانهم عن كل عيب نابـس (43) |

---

43) من بحر الكامل .

# فـــصــــل

9 ـ ومنهم علامة دهره وعصره ، المشتهر في شام المشرق ومصره الباذل نفسه في تاييد التصوف ونصره الذي يعجز الوصف عن حد فضله وحصره الشيخ علي بن محمد المراكشي رحـل الى المشرق فأشرق فـي مطالعه ، واجتهد في اخفاء نور اشتهاره فأبداه المستولي على طالعه ؛ تخلى على المعاهد والأوطان ، وتجلى له من نور اليقين ما قذف به كل شيطان ؛ وقد قيل ان التصوف تجلي وتخلي

نزل ببادس بعد رجوعه من المشرق ، فأقام بها في عشر الأربعين وما زال يتستر بالخياطة حتى مات ـ عفا الله عنه ـ ، ودفن بالمقبرة الشرقية من مقابر بادس وقبره الآن مشهور بها يزار ويتبرك به

حدثني ابي اسماعيل بن احمد رحمه الله تعالى قال قدم على بادس الشيخ علي بن محمد المراكشي وعليه جبة' صوف خضراء رائقة اللون ، وحزام صوف تلمساني وعمامة بيضاء ونعلان لطيفان ، وهو شيخ بهي وضاء يظنه كل من يراه انه من عمال الموحدين ، وكانت له مملوكة سوداء تعمل الخبز وتبيعه ، وكان يجالس تاجرا بزازا اسمه علي بن محمد الزهيلي ويعرف بالنعجة ، فكان يعطيه اثواباً من حانوته يخيطها له بالأجرة وهو لا يعرفه احد ، وما زال مستمرا بما ذكرناه من اللباس الحسن والصمت والعفاف قلت وهو على مذهب الملامتية (44) كما قيل

فمن علمه ان ليس يدعي بعالـــم ومن فقره ان لا يـُرى يدعي الفقرا
ومن حاله ان غاب شاهد حالــــه فلا يرتجي وصلا ولا يتقي هجـــرا

---

44) قال السهروردي الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا شربت عروقه طعم الاخلاص ، وتحقق بالصدق فلا يحب ان يطلع احد على حاله واعماله . انظر عوارف المعارف ص 71 .

قال ابي  فاتهمه علي بن محمد بعلم الكيمياء  فكان يبالغ في بره واكرامه  وسبب تهمته ان مملوكته الخبازة  كان يظهر عندها حين تشتري القمح دراهم جديدة سكية ، ليست من سكة ذلك الوقت  وكان يسكن بربـاط تامدا (45) بمقربة من البحر في غرفة هناك  فلما حان وقت وفاته ، وكان علي ابن محمد النعجة اماماً في مسجد المقبرة ؛ كان ذلك الوقت وقت صلاة الظهر ، فقال له  يا ابا الحسن ، قم صل بالناس فان الجماعة في انتظارك ، فقال له ما اريد فراقك ، فقال له  قم فان قدر لك برزق في شيء ادركته  فخرج عنه فلما عاد اليه وجده قد توفي رحمه الله ، فلم يجد له شيئاً غير كتاب فوق راسه ، وهو كتاب سماه بـ « مناقب الأولياء  وصفة سلوك الأصفياء » المنقول منه في كتابنا  طبقات الأولياء »

وحدثني الشيخ الصالح ابراهيم بن علي بن محمد ابن النعجة الزهيلي ، قال  كان الشيخ علي بن محمد المراكشي يجالس ابي فيعطيه اثواباً يخيطها له بالأجرة ، وكان يحسبه ابي من سائر الناس ، غير انه ظاهر العفاف والصون  قال  فبينما هو يوما جالس مع ابي علي بن محمد في حانوته بسوق بادس ، وانا حاضر  اذ وقف علينا ثلاثة من فقراء المشارقة ، فقعد احدهم الى جانب ابي ، وقعد الآخر الى جانب الشيخ علي  وبقي الثالث واقفاً ، فصاروا يتحدثون على بلاد المشرق  فقال احدهم  وددت ان اموت ببيت المقدس وقال الآخر  وددت ان اموت ببيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الثالث وددت ان اموت ببيت لحم  فلما اذن المؤذن الظهر قام الشيخ علي  وكانت عادته انه اذا انصرف ، فلا يأتي الا بعد الصلاة  فلما انصرف تبعه فقيران من الثلاثة وبقي واحد منهم مع ابي  فقال الفقير لأبي  يقول اهل المشـرق سد الله باب المغرب ، وانا اقول  سد الله بابه بالرماح ، فقال له ابي  ياهذا بئس ما قلت ، ان في المغرب صلحاء وفقهاء وعلماء ، فقال له  نعم الأمر كما ذكرت ، لكن اتعرف هذا الشيخ الذي قام من هنا ؟ فقال له ابي  هو رجل من المسلمين ، فقال  انه ليس يقدر احد في الشام ، ولا في الديار المصرية ، ان

---

45) تامدا ــ في اللغة البربرية ــ تعني الغدير الكبيرة .

يصل الى موطىء قدميه قال ابراهيم فتغيرت نية ابي فيه ، وانصرف الفقير فلما عاد الشيخ علي المراكشي بعد صلاة الظهر قال له ابي ان واحدا من اولئك الفقراء ذكر انه يعرفك في الشام ومصر ، فقال له لا تلتفت الى قوله فانه نصراني اما سمعته يتمنى ان يموت ببيت لحم ، قلت ياسيدي وما بيت لحم ؟ قال موضع بازاء بيت المقدس ولد فيه عيسى بن مريم عليه السلام واليه حج النصارى

قلت انما نبه الشيخ علي رضي الله عنه على دين الفقير لتسقط بذلك عدالته فيما اخبره به

وحدثني الشيخ الصالح الحسن بن هنا البادسي قال كان قدوم الشيخ علي بن محمد المراكشي على بادس من مرسى هنين (46) في قارب التاجر محمد بن ادريس وابن عمه الرايس يوسف الجيدي قال محمد بن ادريس كنا حملنا في قاربنا الى هنين خشبا من بادس برسم التجارة فلما بعنا وحضر سفرنا اتاني شيخ وضيء حسن السمت فقال من اين جئتم ؟ قلت له من بادس فقال نعم بادس مقبرة الصالحين ثم قال لي وفي اي وقت تحاولون الرجوع اليها قلت له الساعة ، فانا مسافرون ــ ان شاء الله تعالى ــ فقال اريد التوجه صحبتكم اليها في قاربكم قلت له نعم فقال لي انا ومن معي وهي مملوكة ، فقلت له انت ومن معك ، فعرفت بذلك شريكي وابن عمي الرايس يوسف المذكور وكانت فيه شراسة ، فقال لي ما يطلع معنا الا بالكراء فقلت له قد ارتهنت له في طلوعه ولا يمكن نقض الوعد معه فحاسبني بواجبك من الكراء عليه قال فأتى الشيخ علي وخادمته فطلعا معنا في القارب واقلعنا من هنين وسرنا فأصبحنا يوما على جوف بادس فنظرنا في الغبش فراينا شيطيا (47) حربيا قاصداً الينا في البر فدهمنا امر عظيم وصار بعضنا يموج في بعض والشيخ علي واضع راسه بين ركبتيه فسمع ضجيجنا وما نحن فيه فرفع راسه ، وقال

---

46) هنين مرسى على ساحل تلمسان انظر معجم البلدان 419/5 (هنين)

47) لعله يعني به قاربا حربيا .

ما شأنكم ؟ فقلت له  اظنك مصابا في عقلك ، نحن الساعة اسارى العدو وانت تقول ما شأنكم  انظر الى ذلك الشيطي القاصد الينا  قال  فنظر اليه ثم قام  قال  فكانت منه التفاتة الى جهته  فرايته قد مسك طوقه بيده واخذ به كالخانق لنفسه ، ثم رفع راسه الى السماء  قال  فغشينا في الوقت ضباب كثيف لا يكاد الانسان يرى يده ، وهبت علينا ريح طيبة" (حركت) شراع القارب ، فغاب عنا الشيطي وغبنا عنه  فما علمنا اي شيء فعل  وما كان الا يسير حتى وصلنا بادس سالمين ، فنزلنا الى اهلها وانسيت ذكر الشيطي انا وغيري ، فما تذكرت المسألة الا بعد موت الشيخ علي ؛ فعلمت انها كرامة من كراماته

وحدثني عبد الله بن العربي البادسي  قال  كانت العرب قد تغلبت على الريف عام خمسة وثلاثين (48) ، فخفنا منهم  فارتحل جميع اهل بادس بأموالهم وامتعتهم الى الجزيرة التي في مرسى بادس  وكنا نحترس الديار رجالا بالأسلحة لا غير  قال  فاذا جاءت العرب غدوة انبسطوا في الوادي وانقطع الناس في العدوتين  عدوة الصف وعدوة الركيبة  لا يقدر من يدخل الوادي من اجل العرب ، قال  وكنت ارى الشيخ علي المراكشي جائياً وذاهباً من احدى العدوتين الى الاخرى يمشي وسط العرب  وعليه ثيابه  فما ناله من احد منهم شيء  فعلمت بعد ذلك انه كان محجوبا عنهم

وحدثني رجل من اهل بلدنا ان رجلا مسرفا ممن لا يحب الكشف عن اسمه مات ، فرآه بعض الصالحين على حالة قبيحة  فلما مات الشيخ علي رآه على هيأة صالحة ، فقال له  ما اوجب لك هذا ؟ قال  لما دفن الشيخ علي معنا  غفر الله لأهل القبر من الجانبين  الشرقية والغربية

---

48) يعني وستمئة .

## فصل

### نذكر فيه بعض الكرامات التي روى في كتابه رحمه الله تعالى

قال علي بن محمد المراكشي قعدت يوما بمكة انظر في البيت واتفكر فيه له اربعة اوجه والناس يصلون الى كل جهة منه ، فألهمني الله تعالى الى ان قرأت « فأينما تولوا فثم وجه الله » (49) فكأني بالبيت قد رفع من بين الناس كأنه لم يكن فنظرت فاذا الناس كلهم ساجدون فقلت يارب وما هذا ؟ فسمعت قائلا يقول ياعلي ، هل في الوجود غيري ، فانتبهت وانا مرعوب ؟

قال المؤلف معنى المسألة انه كان قاعدا متفكرا في البيت ، فجازت به عينه فرأى ما ذكر في المنام دل عليه قولُه فانتبهت

قال علي بن محمد سكنت بقوس مدة ، فذكر لي عن سيد في الأقصور يعرف بيوسف الأقصوري (50) فأردت زيارته فتخلفت عنه اياما فجئت يوماً فسمعت قائلا يقول لي قم الى الشيخ يوسف ، فانه خرج ليجتمع بك فلم اكذب فخرجت اما ان القاه واما ان امشي الى منزله على وجه الزيارة فمشيت على ساحل النيل حتى انتهيت الى موضع المعدية ، فلم اجد المعدي الذي يعدي الناس ، فقعدت انتظره ، فاذا الرجل قد اقبل من الجانب الآخر وبيده عصا ، فرمى برجله على الماء وهو يخط بعصاه على الماء حتى صار الي ؛ فتعجبت في كرامات الأولياء وارتعبت منه ، فنظر الي واخذ باذني ففتلها ، وقال ياعلي لا تتأنى عن زيارة الأولياء ، فتحجب من كراماتهم ، فبكيت وقلت ياسيدي ، ما اعرفك فقال لي انا يوسف الأقصوري ، فقبلت قدميه وتذللت بين

49) الآية ١١٥ سورة البقرة

50) يوسف الأقصوري من كبار مشايخ الصوفية ، له كلام عال في الطريق انظر ترجمته في طبقات الشعراني ١/57 — 59 .

يديه ، ثم قال لي  ارجع الى مكانك ، فقلت  نعم ياسيدي بعد موعظة شافية ، فقال  نعم ياعلي  فعليك بمحاسبة نفسك ومراقبتها  فانها مهلكة الرجال قلت له  ياسيدي زدني ، قال  عليك بالصمت بين يدي العلماء  قلت له ياسيدي زدني ، قال  عليك بالتواضع وقلة الدعوى ، ثم تركته ورجع على حال سبيله ، فرجعت الى قوص متعجبا من كرامات الأولياء

قال المؤلف  قال لي خالي الحاج يحيى بن حسون — وكان جال في بلاد الصعيد — في هذه الحكاية اشكال ان اهمل ظن مَن سمعها ممن له خبرة بالبلاد انها باطل  لأن قوص والأقصور على ساجل واحد من النيل فكيف ينتهي الى مكان المعدية ويقعد منتظرا المعدي ؟ وينحل الاشكال في ذلك بتأويلين  احدهما ان ذلك كان في زمان فيض النيل  فتنقطع الطريق فيحتاج الى المعدية  والآخر ان الشيخ يوسف كان في ساحة العدوة الأخرى ، وانه جاز الى تلك العدوة قاصدا ليُري عليا المشي على الماء  وان عليا كوشف بأنه في العدوة الأخرى  فقعد ينتظر المعدي  وهذا وجه حسن

قال علي بن محمد  خرجت يوما من مصر اريد الميمون لزيارة رجل مخفي عن الناس  لا يعرفه الا رجال معلومون  وما ينبغي لي ان اذكر اسمه لأن بذلك امرني  فبينما انا على شاطيء النيل ماشيا  اذا برجل عليه حلية العجم ، وعليه مرقعة  وبيده ابريق ، فسلم علي مبادراً ؛ فرددت عليه السلام واثر البشاشة على وجهه ، وكان وقت صلاة الظهر  فقال لي  صل بنا نصلي الفريضة ؛ قلت له  نعم  وكنت على وضوء  ثم قلت له  صل بنا  قال نعم ؛ فأقامني على يمينه وقال لي  تأخر قليلا  لأن هذه هي السنة في صلوات الاثنين ، وكان يطيل الركوع والسجود ، ما صليتُ صلاة اتقنَ منها ولا احلا ، وكنت اسمع خلفنا حساً ، فلما فرغنا من الصلاة دعا لنا بدعاء ما فهمتُ منه شيئاً  فسألته على الحس الذي كان خلفنا ونحن نصلي  فنظر الي وضحك حتى ظهرت ثناياه ، وقال لي  ياعلي ، اما علمت ان ملائكة هذا الموقع صلوا معنا ، فتعجبت منه الذي عرف اسمي من غير ان اعرفه به ، فعلمت انه من

الأولياء بلا شك ثم انه قال لي لو ازددت يقينا في علم التوحيد لرأيت الملائكة بعينك ، وكنت اظن نفسي اني على شيء ، فقلت له ياسيدي علمني مما علمك الله تعالى ، فقال لي اذكر ما علمت فذكرت له شيئاً ، فضحك مني وقال ياعلي لو اعطيت علم التوحيد ذرة لحملت السماوات على جفن عينك ثم قال لي لا يقع نظرك في عالم شهادتك وغيبتك الا على الله تعالى لأن ما في الوجود غيره فنظرت فلم ار احداً معي فغشي علي ساعة ثم قمت ومشيت حتى وصلت الى الميمون فحدثت بذلك السيد الذي جئت الى زيارته فقال لي هو الخضر عليه السلام فبهت في وجهه فقال لي اي شيء يبهتك ، ما جاءني احد يزورني حتى يلقاه في الطريق ومن عندي خرج امس فبقيت متحيرا في نفسي الذي لم اسأله اكثر مما سألته فعلم السيد ذلك مني فأقعدني عنده ثلاثة ايام ثم اردت ان اودعه وانصرف فقال لي اقعد الساعة حتى يأتيك صاحبك العجمي الذي هو الخضر عليه السلام فسررت لعلمي بصدق السيد ، فقعدت اليوم الرابع حتى اتى وقت صلاة الظهر، فاذا بباب السيد قد قرع فقال لي افتح الباب فقمت وفتحت الباب واذا انا بالرجل العجمي الذي صليت معه وانا متأسف على ما فاتني من سؤاله في شيء انتفع به فلم اظهر له بشاشة من شدة فرحي به ، فدخل الى بيت السيد فصلى بنا الظهر ، ولم ار السيد قرب اليه طعاماً ولا شراباً ، بخلاف عادته مع من يرد عليه من الأولياء ، ثم تكلم السيد معه بكلام ما كنت افهم منه الا بعض كلمات ، وانا ساكت لا استطيع خطابا ولا ارد جوابا ، فلما فرغ اخذ في الدعاء فلم اعلم منه الا ثلاث كلمات الأولى ياحي مع كل حي ، ويامَن لا يفوته شيء والثانية يامن احاط بكل شيء علما وقهر عباده بالفناء والموت والثالثة يامن تقدست اسماؤه ولا يحصيها غيره ثم قال لي السيد الولي قم الى موضعك الذي اتيت منه فبكيت بكاء شديدا حتى كادت روحي تزهق فجبر العجمي قلبي ، وقال لي اجتمع بك يوم الجمعة بمصر في الجامع ، قلت له ما اعرف اين اجدك فقال لي تجدني في زاوية عمرو بن العاص فحينذاك طابت نفسي ، ثم ودعت السيد وودعت الرجل العجمي وسرت الى مصر ، فلما كان يوم الجمعة مشيت الى الجامع في اول الوقت ، فوجدت العجمي سبقني

الى الموضع وهو قاعد فنظرت اليه فعرفته وما وجدت معه احدا فصليت الركعتين وسلمت عليه فأخذ بيدي واقعدني على يمينه فسألني على احوالي فعرفته بها فبقيت بمصر ستة اشهر اجتمعت معه فيها ثلاث مرات في ثلاث جمع وهو لا يجالسه احد ولا يجالس احدا فوقع في نفسي ان الناس محجوبون عن رؤيته فعلمني فيها ثلاثة علوم واوصاني ان لا اعرف بها احداً الا عند موتي قلت له اعرف بها احب الناس الي قال ما تستطيع ذلك ، ما يعلمها الا من قسم الله له فيها فلم يزدني اكثر ثم امرني بالمشي الي بيت المقدس فمشيت باذنه وما رايته بعد فعلمت انه ما قسم منه الا ما علمني

قال المؤلف حدثني خالي الحاج يحيى بن حسون وكان وقف على كتاب الشيخ علي المنقول منه هذا قال لما وقفت على هذه الحكاية خرجت من مصر وسألت عن الموقع المعروف بالميمون فعرفت به ، فوصلت اليه فسألت عن الولي المخفى عن الناس الذي كان بقرية الميمون في الحكاية السابقة فقيل لي هو الشيخ ابو زيد القرطبي قال ودخلت زاويته ، فوجدت بها خديمه ـ وهو قيم الزاوية ـ شيخا كبيرا فسألته عن الشيخ ابي زيد القرطبي فحدثني عنه بالمعجب العجاب قال الحاج فزرت قبره وانصرفت

قال علي بن محمد مشيت باذن الخضر الى بيت المقدس واقمت فيه يوما وخرجت الى زيارة ابينا ابراهيم عليه السلام فمشيت حتى وصلت الى القرية التي فيها يونس عليه السلام ، فأتيت الى قبره وهو مدفون في مسجد صغير فصليت ركعتين ثم خرجت لأسلم عليه ، فاذا انا بثلاثة نفر وهم يتلون هذه الآية « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين » (51) وهم يكررونها ، فسلمت عليهم وبقيت متعجبا من امرهم الذي لم يجدوا ما يقرؤون الا هذه الآية ، فلم يتم ذلك من قلبي حتى قام الي رجل من بينهم ،

---

51) الآية : 87 سورة الأنبياء .

وقال ياهذا لا تعترض علينا ، نحن من قومه فارتعبت وكأنما عمل على عيني غشاء فالتفت فما رايت احدا ، فمشيت الى الخليل وانا اعثر في دموعي الذي لم اسالهم الدعاء فرآني ابو عبد الله الغرناطي - وكنت اعرفه من عند راس ابينا ابراهيم - وانا ابكي في المغارة ولم يكن معي احد غيره فقال لي احمد الله واثن عليه الذي اظهر لك قوم يونس ، فزادني في كربي وما انا فيه الذي اطلعه الله على سري وكنت ما اعهد منه شيئا مما سمعته منه فبهت فيه وقلت يا ابا عبد الله ، بحق هؤلاء الأنبياء الكرام - واشرت الى ابراهيم واسحاق - عليهما الصلاة والسلام الا ما عرفتني بما ادركتم يا اولياء الله هذه الكرامات العظام وبدأت اصف كرامات الأولياء كرامة بعد اخرى ، فقال نعم ادرك هذا واكثر من هذا بالصبر على البلوى والشكر على النعماء والايثار عند الحاجة فقبلت بين عينيه ، ثم قال لي هذا هو الصفا

قال علي بن محمد دخلت دمنهور المدينة وبينها وبين الاسكندرية يوم وبعض آخر وكنت تجردت للعبادة فأويت الى مسجد في آخر البلد فاجتمع حولي فقراء بغير اختياري وكانوا لا يبرحون عني وضيقوا علي شي العبادة فعزمت على الانتقال الى بلد غيرها فلما كان العشاء الآخرة من ذلك اليوم رايت رجلا دخل علينا في المسجد واولئك الفقراء قعدوا كل واحد في موضعه ، واخذ الرجل بيدي واخرجني من المسجد ، وقال لي امش معي ، فقلت له نعم ، فمشيت معه حتى وصل الى موضع لم اعرفه ، ثم قال لي امكث في مكانك حتى آتيك ، فلم ابرح حتى جاءني واخذ بيدي في الليل وادخلني في منزله في غرفة لم اجد فيها الا حصيرة من الحلفاء اقعدني عليها ، ثم دار في زاوية الغرفة فأحضر بين يدي عسل نحل ولبنا معقودا وخبزا حارا، فواكلني فلم اتهن من اجل الفقراء الذين تركت في المسجد ، فرأى الرجل عندي قبضا ، فقال لي كلْ لأنك اردت الخلوة وحدك ، وهذه الخلوة لا تجد مثلها ، فتعجبت منه الذي ذكر لي ما كان عندي ، ثم قال لي كل فأكلت حتى اخذت حاجتي من الطعام فشكرت الله تعالى ، فقال لي ادع لنا لأن دعاء الضيف مستجاب ، فدعوت الله تعالى بما ألهمني اليه في الوقت ، ثم

سألته عن اسمه ، فقال لي اسمي ضرغام بن مخلوف فقلت له ما حرفتك ؟ فقال لي قزاز ، قلت له يا اخي ضرغام ، ما دلك على الموضع الذي كنت فيه ، لأن لي فيه اياما فما رايت فيه احداً قط فقال لي نعم ، رجل اخبرني بك ، فسألته عن الرجل واسمه ، فلم يعرفني به ، فعلمت انه كوشف بضعف حالي مع اولئك الفقراء الذين ضيقوا علي في المسجد ، فقعد يسيرا ونحن نتحدث في كرامات الأولياء والصالحين ثم تركني وخرج فما رايته الى صلاة الصبح فصليت معه الصبح واردت الانصراف فقال لي الضيافة ثلاثة ايام ، ثم قال الضيف في حكم صاحب الدار حتى يخلى سبيله ، فقلت له نعم وكرامة ما اخالفك فلما طلعت الشمس صليت الضحى ثم قعدت واذا به دخل علي وقال لي انزل معي فنزلت حتى اوقفني على البيت الذي يعمل فيه القزازة وهو بيت آخر في نفس منزله ، فقعدت معه وهو على منواله يعمل شغله ، ونحن نذكر اخبار الصالحين وكرامات الأولياء ، ثم سمعت بأن منزله يقرع فقام ليفتح فقلت له على رسلك تعلم اني رجل ما اريد الجمع وقد اشترطت علي اقامتي عندك ثلاثة ايام وانا اشترطت عليك ان لا تظهرني لأحد ، فقال لي قم الى موضعك ، فقمت الى الغرفة التي كنت فيها ، فسمعت عنده حس رجال كثير ولم ارهم ، فجاء الى الغرفة التي انا فيها ، فرأيته يدخل الى ركن من اركان الغرفة فيخرج العسل واللبن المعقود والخبز الحار بلا مقدار ، فعلمت انه صاحب كرامات ، فاقمت معه على ذلك ثلاثة ايام وانا اراه يخرج الطعام من زاوية الغرفة فاذا خرج انظر الى الزاوية التي يخرج منها العسل والخبز الحار واللبن المعقود ، فلا ارى شيئاً فلما عزمت على السفر واراد ان يودعني ، قلت له يا اخي ياضرغام ، ان لي عليك حقا ولك علي حق لا تخف عني ما رايته فقال لي قل ما رايت ، فاخبرته عن العسل واللبن المعقود والخبز الذي رايته يخرج من زاوية بلا قدر ، فقال لي هل رايتني ؟ قلت له نعم ، فقبل بين عيني وقال لي انت منهم - يعني من الصالحين - ثم عطف علي وقال لي ياعلي دخل زاويتي كذا وكذا رجلا ، فما رايت قط من سألني عن هذا الا انت ورجل معروف بيوسف الأقصوري ، قلت له : اعرفه ، قال لي : واين تعرفه ؟ فوصفت له ما جرى لي

معه من مشيه على الماء   فحكى لي عنه ضرغام القزاز انه كان يصلي الظهر والعصر عندنا مدة من ثلاث سنين   وبين دمنهور وبين الأقصور ثمانية عشر يوما   ثم قال لي  يا اخي ياعلي   هو شيخي ، فتأكدت بيني وبينه الصحبة والمحبة ، فلم يتركني امشي مدة من شهر ، فقلت متمثلا

نزلنا على ان المقام ثلاثـــة   فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا (52)

قال علي بن محمد : فاقمت عنده وهو على طعامه ولا يغيره ، ثم قال ياشيخ علي   الشيخ يوسف يأكل من القدرة ، وانا ايضا كما رايتني آكل من القدرة واطعم منها ، ففارقته   نفع الله به

قال علي بن محمد   صحبني شاب اسمه يوسف ، وكان دأبه وحرفته يدرز   ويطعم الفقراء ، وكان قد سخر الله له الخلق   ما يقف على انسان الا ويعطيه من غير مسالة ، وكان يجتمع عليه العشرون فقيرا وربما اكثر ، فكان يطعمهم الذي يطلب ولا رآه احد قط يأكل مما يسوقه   وكان اشتهر حاله عند الفقراء انه يدخل طريق مكة بلا زاد ولا ماء ، وانه يواصل خمسة عشر يوما فلما كان ذات يوم خرجت لسياحة ، ففطن بي وتبعني وبيده ابريق لا غيـر ، فرأيته فساءني فعله ، فقلت له   ما حملك على هذا ؟ ارجع الى الفقراء فهـو اولى لك من مشيك معي ، فلم يفعل ، ورغبني وبكى وتركته معي   وكنت اردت ان اصل الى اسوان الى رجل يعرف بالهرغي ، واسمه عبد الله   وكنت راتبا بقوص ومنها خرجت ؛ فمشى معي الشاب ونحن على ساحل النيل لا نفارقه ثم وصلنا الى موضع يعرف بدمامين ، فبتنا فيه عند رجل من الفضلاء اسمه مفرخ ، والشاب يوسف معي لا يفارقني ، فلما كان في السحر اردت المشي الى الأقصور ، فسرقتنا طريقة صغيرة والشاب معي ، فما شعرنا الا ونحن في صحراء والغزلان امامنا اذواداً اذواداً   ثم انقطعت عنا الطريق التي اخذنا عليها فلم نعلم حيث نحن من الأرض ، فسرنا النهار كله   فبتنا ثم اصبحنا وتيممنا وصلينا ، ثم مشينا الى وقت الزوال ، وقعدنا الى الأرض ولا شيء بقي مـن

---

52) من بحر الطويل

الشمس ، واخذني عطش شديد والابريق بيد الشاب يوسف ، فقلت له يا يوسف ، اصابني العطش فقال لي ياسيدي اقعد مكانك ، فتوارى عني بتل في الرمل ، ثم اتاني وابريقه مملوء ماء ، فنظرت اليه ونظرت الى الابريق فكأن العطش لم يصبني من شدة ما وجدته مما رايته من الشاب ، فكنت ادل عليه ، فقلت والله لا شربت من هذا الماء شيئاً حتى تعرفني من اين هذا الماء فطمع في ان اشرب فأبيت فقال لي ياسيدي اني اعرف في هذا الموضع مكان الماء ، فقلت له ياولدي ، لنا يومان ضالين عن الطريق ، فما عرفت الطريق التي تخرجنا الى النيل وانقلبت علينا جميع المسالك فكيف تعرف موضع الماء ؟ ثم قال ياسيدي ياعلي اقول لك شيئاً ـ وهو الحق ـ ولولا اني اعتقد فيك ما اعتقد ما عرفتك حديثي ابداً ، كما اني لم اعرفه غيرك ، وبدأ يعد لي الصالحين رجلا بعد رجل ، فقلت له عرفنا ، فقال لي ياسيدي هذا الابريق له عندي خمسة اعوام وانت تعلم اني متجلد على الوصال ، قلت له نعم ، فاذا اردت ان ادخل الصحراء للحج اما صحراء عيذاب (53) واما غيرها آخذ هذا الأبريق معي ، فاذا اصابني العطش ادخلته تحتي ، فاسمع ماء ينزل فيه باذني لا اعلم من حيث هو ، فأشرب واتوضأ منه وبه اقوى على الصحراء قلت له ان كان قولك حقا فاهرق الماء الذي فيه وافعل ما ذكرته ، فأراق الماء من الابريق حتى لم يبق فيه شيء ، ثم قام واقفا وادخله تحته ، ثم قرب مني وقال لي تسمع بأذنك للابريق ، فجعلت اذني عند عنقه فوالله الذي لا اله الا هو لقد كنت اسمع نزول الماء في الابريق كأنما يصبه من ميزاب ، ثم اخرجه من تحته مملوءاً ماء ، فقلت اشهد ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ، وانه فعال لما يريد ، فتناولت الابريق من يده فقلت من مثل هذا الابريق ينبغي لي ان اشرب لقربه من الكون فشربته ماء احلا من كل ماء وابرد من الثلج حتى رويت ثم ناولته ليشرب فامتنع ثم قال لي توضأ ، فتوضأت وتوضأ هو منه وصلينا الظهر ثم قعدنا في الموضع حتى صلينا العصر ، ثم مشينا الى المغرب فبتنا تلك الليلة ولا نعلم حيث نحن ، فلما اصبح وصلينا الصبح ، مشينا

---

53) في الاصول : غذاب

البحر البحر حتى راينا النخيل فلما قربنا من النخيل عرفنا البلاد فاذا بها الأقصور ، فبتنا تلك الليلة عند الشيخ يوسف ، ثم مشينا الى اسوان -وكان قريبا من العيد الكبير - فعيدنا عند الشيخ ابي محمد الهرغي ثم اراد الشاب ان يمشي فخليت سبيله وهو الآن بمكة يبعث لي السلام مع كل من يعرفني فخرج الشاب يوسف معي لأغفر له (54) فغفر لي فمن الأولياء وكبار نفع الله بهم اجمعين

قال المؤلف هذه الحكاية تدل على ان قوص والأقصور في ساحل واحد على النيل ، لأنه قال فيها ومن قوص خرجت وانه ما زال يمشي البحر البحر حتى وصل الى الأقصور ، وذلك بين ، والشيخ مفرج الذي ذكره بدمامين هو من المشايخ المشتهرين بالايثار

حدثني خالي الحاج يحيى قال زرت قبره بدمامين وحكى اهل دمامين عنه فضلا كثيراً وحكى له عنه اهل بلده انه كان اعور ، وسبب ذلك ان امير الوادي زاره فأكرم مثواه بأطعمة طيبة ، وجاءه عند انصرافه فقراء من الحج ، فقدم اليهم خبزاً ، فأخذوا الشيخ وضربوه ورموا به في بئر هناك ، فأصاب عينيه عود فعورت وقالوا له ياقواد أتكرم الوالي وتبخل على الفقراء ؟ لا تخرج من ذلك البئر حتى تضيفنا ، قالوا فوقف مستغفراً في قعر البئر ، وخرج لهم عن ثيابه فباعوها واكلوا ثمنها - ما اشتهوا - وحينئذ اخرجوه من البئر وفي معنى ما تقدم انشدوا

| | |
|---|---|
| شرف الرجال بهمة تسمو بهم | فانهض بعزم للمحل الأرفع |
| واصعد معارج كل عبد قانت | وموفق ومكرم ومرفع |
| ومتى اردت مجادة واجادة | فعليك بالفعل الحظي الأنفع |
| كسب التقى نعم الشفيع وانه | لحمى التخلص وهو خير مشفع |

---

54) في الأصول : ( لأغفره ) ، ولعل الصواب ما اثبته .

سمة التقي البشر ان ضل الـذي ... الف المخازي ذا جبين اسفع (55)
نال الذي طلب الفضائل حضـرة ... مستثمرا ما شاء غير مدفـع
فمحاسن تجلى وعز يُقتنـى ... وكرامة تروى بغير تلفـع
من رام مدفع اية وكرامـة ... للأولياء غدا ضعيف المدفـع
ياباتعاً حظاً نفيساً جاهـلا ... ان شئت فيه اقالة فاستشفع (56)

## فصـل

10 - ومنهم العلم المنيف ذو المنهج الحنيف ، المطلوب بالمسلوب ، العارف بعلل القلوب والفائز بحصول المطلوب الشيخ **محمد اليستثني** ابر بمعنى الولاية صغيرا واستمر على انتهاب المواهب فقيرا ، فسلب من نفسه وشهواته وصار يشكو الظمأ والماء في لهواتـه (57) ، وقد قيـل ان التصوف طلب وسلب

وكان خرج من بلده بني يستثن صبياً فاستقر بجبل بني عيسى فحبب الله اليه الصوم والعبادة فكان يتصدق بغذائه مستخفياً ، فكوشف به الشيخ اسماعيل ابن سيد الناس ، فكان يعلمه ويفهمه ، فأفاض عليه المعارف ، وسلبه من عالم الملكوت الى عالم الجبروت

سمعت الشيخ علي بن ماخوخ التوزيني (58) - وكان من اكابـر تلامذته وخواص خدامه - يقول زاد عليَّ سيدي محمد في عالم

---

55) اسفع اسود يشير الى قوله تعالى « لنسفعن بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة » الآية 16 من سورة العلق

56) من بحر الكامل

57) لهوات جمع لهاة اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف اللحم .

58) ستأتي ترجمته عند المؤلف في فصل رقم 25 .

الجبروت (59) ، وزدت عليه في عالم الملكوت (60) ؛ وهذا كلام ان حمل على ظاهره فيه تناقض ، لأن عالم الجبروت فوق عالم الملكوت ، فكيف يزيد الأدنى على الأعلا ، ومعناه إن الشيخ محمد كان مسلوباً ، ولم يكن كثير المجاهدة ، وان الشيخ علي كان سالكاً صاحب مجاهدة فالمجذوب المسلوب ، مَن نال ما نال من غير كبير مجاهدة والسالك مَن جاهد وقطع المقامات كلهـــا هذا كله بين

سمعت الشيخ الفقيه الحاج المرضي موسى بن عبد السلام ، وقـد ادرك الشيخ محمد قال كان الشيخ محمد مغلوبا مسلوبا ، جذب وهذب ، فاتصل بعالم الجبروت مترقيا من عالم الملكوت ورفض جميع الملاذ مــن النساء والطعام ، وكان نحيف الجسم ، دائر الرسم لا يكاد يحس بشيء من احوال الدنيا ، وكان التمس على وجه المجاهدة الاغتسال لكل صلاة وكان يجد في اعضائه وجعا من اجل الجوع ، فيجد لذلك خفة بالأدهان والقرب من النيران ، فلذلك كانت النيران توقد امامه في غالب اوقاته

سمعت الشيخ علي يقول يظن الناس بنا انا انما نوقد النار امامنا على وجه السنة والاتباع لمن تقدم من مشايخنا وانما نوقدها من اجل انا نجد بمقاربتها خفة في اعضائنا وكذلك هذه المراوح التي عندنا اليوم من ريش النعام على عصي طوال ما حبسناها تبركا بها ، فان الشيخ محمد لما ضعف وصار يغيب كنا نهاب القرب منه فاستعملنا تلك المراوح لنطرد عنه الذباب

سمعت الحاج سليمان الــوريــاغلي ــ وكان من تلامذتـــه يقول كنا عنده ليلة فألح اسد في الزئير فقال لنا قولوا له ينصرف الى منزل فلان فياخذ من ماشيته شاة قد بقيت عنده من الزكاة ، فقيل له ذلك فانصرف ، فما كاد يسير حتى سمعنا الصياح في دار ذلك الرجل ، وفي

59) انظر في معنى الجبروت كتاب التعريفات للجرجاني ص 65

60) انظر في معنى عالم الملكوت : شفاء السائل لابن خلدون ص 55 ــ 56

الغد اتى الى الزاوية فعرفنا ان الأسد قفز في داره البارحة ، فأخذ له شاة من اجود غنمه ، فقلنا له الشيخ وجهه اليك ، لأنه ذكر ان شاة من الزكاة بقيت في ماشيتك ، قال الرجل نعم ، ولقد هممت بدفع تلك الشاة عنها فأعجبتني فامسكتها وقلت اعطي غيرها وسوفتني نفسي عن ذلك ، فهي التي اخذ الأسد البارحة

وحدثني رجل من اهل بادس قال كانت امي حاملا بي ، ولم يجد ابي ما يقيم به شأن ولادتها ، فتوجه من بادس الى الشيخ محمد اليستثني ، قال الرجل : قال ابي : فقلت في نفسي اريد ان يعطيني هذا الشيخ عنزا جيدا وصحفة من قمح ، ثم قال فعند وصولي اليه ، سلمت عليه ، ثم دعا برجل فقال له ادفع لهذا الرجل عنزا جيدا ، ودعا بالآخر فقال له ادفع له اربعين درهما يشتري بها صحفة قمح قال فقضى الله حاجتي ورجعت من فوري

حدثني بعض تلامذته انه قال وجهنا الشيخ محمد اليستثني رحمه الله تعالى الى بادس لنشتري له زيتا ، فقال اقصدوا بقصبة بادس تاجرا اسمه موسى بن العطار ، فاشتروا منه جرة زيت اشبيلي هي عنده في قعر مخزن حانوته ، قال فلما وصلنا الى الرجل ، فعرفناه بالقصة ، قال ما اعرف عندي جرة على هذه الصفة ، فقلنا له الشيخ اخبرنا بذلك ، فقال قد فتشت مخزن حانوتي قبلكم وانا اعلم به من غيري ، فقلنا له اعد التفتيش ، فأعاد فوجد جرة زيت في قعر المخزن قد تراكم عليها الحلفاء فأخرجها وفتحها فوجدناها في غاية ما يكون من الرقة والصفاء والطيب فاشتريناها منه واتينا بها الى الشيخ محمد ، وقضى التاجر العجب من ذلك ، فانه نسيها لطول الزمان ، وغابت عنه بما كان عليها من الحلفاء وغيرها.

وحدثني الشيخ الحاج علي بن ماخوخ قال كان بين الشيخ محمد وبين الشيخ ابي اسحاق بن عبيدس (61) مراسلة ، وكان يوجه

---

61) هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ابن عبيدس النفزي ابذي الأصل ، استوطن غرناطة وهو من شيوخ التصوف (ت 748 هـ) . انظر الاحاطة 1/367 — 371 .

اليه في كل سنة معجون الترنج من غرناطة ، فتأخر سنة واحدة فقال الشيخ محمد مَن يصل منكم الى غرناطة الى الشيخ ابي اسحاق فيأتي من عنده بمعجون الترنج قال فتوجه احد الفقراء فجاز البحر بنفسه من غير قارب وجاء بالمعجون في اقرب وقت قلت لم يسم لي الشيخ علي الذي جاز البحر واظنه هو والله اعلم

وحدثني علي المذكور قال سرنا مع سيدي محمد قاصدين بلاد الغرب ، فلما بلغنا الى فج العروس (62) وهو آخر بلاد بطوية واول بلاد كزناية ، ومنه يشرف على بلاد الغرب ، فنزلنا به على عين مـــاء براس الفج المذكور ، فنظر الى جهة بلاد الغرب ، فقال ردوني الى موضعي الذي اتيت منه فاني عند ما نظرت الى جهة الغرب اظلم قلبي قال فرجعنا به من هناك

وحدثني الحاج علي المذكور قال اتيت سيدي محمـــد ليلة وفاته عند المغرب ، فقلت له قد حان وقت الصلاة ، قال لي نعم ، فما زلت اكرر عليه الى ان توسط ما بين العشاءيْن فقال لي ناولني الماء فناولته الماء ، فاغتسل غسلة عاما ، ثم جمع بين العشاءين ، وبعد فراغـه من العشاء الأخيرة توفي رحمه الله ونفع به وفي مثله انشدت

علم اليقين انالهم ما املـــوا ... فرأوا به عين اليقين وحقـــه
سُلبوا فغابوا عن وجود نقولهم ... فوجودهم محق يلازم محقـــه
لم يعرفوا هجرا ولا وصلا ولا ... معنى يبين قربه او سحقـــه
فكأنما انفاسهم ونفوسهـــــم ... شيء تداولت الأيادي سحقَـــه
وكأنما اسرارهم بقلوبهـــــم ... در بعقدٍ لا يفارق حقَّه (63)

---

62) كتب بطرة نسخة ص فج العروس ، هو تيزي وسلي .

63) من بحر الكامل .

# فـــصـــل

11 - ومنهم ذو المآثر الأثيرة والكرامات الجمة الكثيرة والخلق (64) الرصينة الوثيرة الذي لم يتهافت له في الاعلام ، باخبار المغيبات - كلام ، ولا لحقه في الصبر على المجاهدة ملام ، الشيخ **ابو طاهر ابن العلام** كان رحمه الله حسن الأخلاق ، كثير السعي في الطاعة والانطلاق وقد قيل ان التصوف اخلاق واملاق

حدثني عنه الحاج سليمان الورياغلي قال اجتمعنا مع محمد اليستثني برابطة ابي داود وابو طاهر حاضر فقال للشيخ محمد ما بال خبز مالقة وتينها ؟ فقال له ابو طاهر اتعرض بذلك يا ابا عبد الله ؟ ثم غاب يسيرا فاحضر بين ايدينا خبز مالقة وتينها

وقيل له يوما الى اين يبلغ الماء ممن يمشي عليه ؟ فقال اما انا فالى شراك النعل

حدثني الحاج الزكي الشيخ الولي المرضي ابو زكرياء بن مخلوف اليفراسني اليعقوبي (65) ، قال جئت انا واخي من المنزل المعروف ببني أبي عمرو ، فلما قربنا منزل الشيخ ابي طاهر ، قلت لأخي - وكان اسن مني - مل بنا الى زيارة الشيخ ابي طاهر ، فقال لي اخي لا ازوره ، فملت انا وقلت: لا بد لي من زيارته ، فلما رأى اخي عزمي وافقني فبلغنا اليه فوجدناه في منزله يطعم اضيافاً له ، فلما ناديته قال لي ادخل فدخلت فوجدته قائما وبيده إناء فيه سمن وهو يصب السمن على الطعام فقعدنا نأكل انا واخي ، فاخرج الشيخ قطعة من لحم فناولنيها فتناولتها وناولتها أخي فقال

---

64) يعني انه كان حسن الأخلاق - كما ياتي له بعد ولعله جمع خلقة - بكسر الخاء الفطرة

65) ستاتي ترجمته عند المؤلف رقم (29) .

لي ألم يقل لك لا ازوره ؟ ثم اخرج قطعة اخرى فناولنيها فأردت ان اناولها اخي ، فزجرني عن ذلك وقال تكفيه الأولى انه لم يات زائراً انما جـــاء موافقة لك

وحدثني الشيخ الصالح ابو عقيل حفيد الشيخ ابي داود ، قـــال اعتدى يحيى ابن الوزير الوطاسي (66) على قوم فظلمهم فاستنصروا بأبي طاهر وطلبوا منه ان يمشي معهم اليه فيرفع ظلمهم عنهم ، فأجابهم فتوجه اليه ، فلما كان في بعض الطريق ، قال الشيخ ابو طاهر لأصحابه ارجعــوا بنا فان الرجل قد قتل قالوا له بماذا عرفت ؟ فقال ما زلت منذ خرجت مـــن منزلي اراه امامي فلما كان في الوقت فقدته فرجع ثم وصل الخبر بعد ذلك بأيام انه قتل في ذلك الوقت الذي اخبر به الشيخ رضي الله عنه

وحدثوا عنه (67) ان بعض اشياخ الريف المشتغلين بالمغـــرب ، تعرضت قبله حاجة لصلحاء الريف ، فقصدوا اليه يسألونه تلك الحاجة ، وهي رفع مظلمة عن واحد من المستضعفين وفيهم ابو طاهر ، فلما بلغوا اليـــه عرض عليهم اكل طعامه فسكتوا ، فقال له ابو طاهر نعم ، فصنع لهم الرجل طعاما ودعاهم اليه ، فقالوا لأبي طاهر ما الذي صنعت بنا ؟ كيف وعدته ان تأكل طعامه ونحن نعلم ان ما عنده الا الحرام المعين ؟ فقال لا عليكم انا أكفيكم مؤونة ذلك فلما نزل الطعام بين ايديهم ، قال لصاحب المنزل انـا – نحن الفقراء – لا نريد من يحضر معنا على الطعام ولكن انصرف عنا فلما خرج الرجل قعد ابو طاهر على القصعة ، فمازال ينخل فيها ويخـــوي ، حتى اتى على اكثرها ، ثم رد عليها منديلَها ودعا بصاحب البيت ودعا له القوم بالبركة على عادة الأضياف ، والرجل ما يشك انهم قد اكلوا بأجمعهم ، ثم قضوا حاجتهم التي اتوا فيها وانصرفوا ؛ فقال بعضهم له كيف قدرت ان تأكل مثل ذلك الأكل الكثير من ذلك الطعام الحرام ؟ فقال لم آكل منه شيئاً وانما كنت اناوله لمن يقذفه في مهواة لا ينتفع به احد

---

66) انظر عن بني وطاس ص 32 رقم (32)

67) كلمة (أن) ساقطة في الأصول ، والمعنى يقتضيهما .

وحدثني احمد بن محمد الصائغ الشهير بالادباس قال مرضت بالعينين مرضا شديداً فطفئت (68) احدى عيني كالعنبة فاتى الشيخ أبو طاهر يوما الى حانوت ابي وانا بها ، فرآني فنفخ لي عليها ثلاث نفخات فعادت الى وضعها الأول

وحدثني ايضاً سمعت محمد بن ابي بكر بن الفقيه عبد الله خطيب المزمة يحدث عن ابي طاهر ، انه وقف يوما بمقربة من الجبل الكبير الذي ببلادنا بقوية بمقربة من عنصر اولاد علي المعروف بابي بعل مع رجل من بقثوية ، فقال له الرجل ما اعظم هذا الجيل ياابا طاهر فقال له ابو طاهر من الرجال من يضع يده عليه ، قال الرجل فرأيت الجبل تحت يد ابي طاهر وكراماته كثيرة جداً واخاطب صاحبه

يامن يشاهد في الوجود عجائبا ... هلا حننت الى الكرام نجائبا
وشهدتهم فيما اختفى من حالهم ... يبدون شراً كان عنا غائبا
طلعت لهم شمس الحقيقة في سماء ... وات الانابة والهداية دائبا
فهم اذا ما مال حائط كنزهم ... جعلوا له صدق اليقين رجائبا
قوم مشوا فوق المياه وصيَّروا ... من تحتهم متن الهواء ركائبا
(هم) (69) للثرى غيث وغوث للورى ... بالبشر لاقوا من راوه تائبا
ان شئت فوزاً بالنجاح فزرهم ... ما آب عنهم مَن رآهم خائبا (70)

## فصل

12 - ومنهم مستثمر فروع الأصول ، المشتهر بحسن اللحوق بالغايات والوصول المتيسر له نجح الحاصل والمحصول الشيخ عمران

68) طفئت عينه ذهب نورها
69) كلمة (هم) ساقطة في النسخ التي بين ايدينا ، والوزن والمعنى يقتضيانها .
70) من بحر الكامل .

**امصبول** كان رحمه الله تعالى من الأفراد السابقين على الجملة والانفراد اشتهرت اقواله كل الاشتهار ووضحت احواله وضوح النهار وقد قيل التصوف احوال واقوال

حدثني الشيخ الصالح الرضى احمد بن سوسان قال كان من عادة عباد بقوية وصالحيهم ان يجتمعوا ليلة النصف من شعبان ، وليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة عاشوراء في الرابطة المعروفة بام اليمن ، الكائنة فوق الجبل المطل على ساحل مكرم ، وهي رابطة فاضلة امرت ببنائها امرأة صالحة اسمها ام اليمن (71) فعرفت باسمها قال فتوجهت ليلة جمعة الى الرابطة المذكورة وحملت معي خبزاً كثيراً ، على اني كنت مواصل الصيام ، ولكني قلت اجد احداً من الفقراء يحتاج اليه ، قال : فوضعت الشكارة بالخبز على حائط حجر من الرابطة خلوة ، برسم من ينقطع فيها من المتعبدين قال فلما فرغ المؤذن من اذان المغرب امر الشيخ عمران امصول من اتاه بالخبز وانا لم اعرف به احدا ، فقلت في نفسي هذه مكاشفة من الشيخ ، ثم قلت في نفسي تمام هذه المكاشفة ان يعلم بوصالي فلا يسهمني من الخبز ، قال فنظر كم في الرابطة من الناس ، فقسم الخبز على عددهم ولم يعطني شيئاً من ذلك فتاكدت عندي مكاشفته فحدثت بذلك الشيخ الصالح زكرياء بن يحيى فقال لي خرجت يوماً من الأيام عشية النهار الى هذه الرابطة اجتمع فيها مع اخواننا على مثل هذه العادة فقالت لي زوجتي سق شيئاً من الربيع للعجلة وحينئذ تمشى فقلت لها الذي خرجت برسمه افضل من سوق الربيع للعجلة ، فلما دخلت على الشيخ عمران في الرابطة قال مبتدئا تقول زوجة احدكم له سق الربيع للعجلة وحينئذ تمشي فيقول لها الذي امشي اليه افضل من العجلة ، وما يدريه ؟ لعل سوقه الربيع للعجلة افضل مما خرج اليه ، قال زكرياء فعلمت انه تحدث عن مسالتي مع زوجتي ، ومنزل زكرياء قريب من الرابطة ، بينهما قدر الفرسخ او دون ، وفي معناه قلت

---

71) لعلها هي المعروفة ـ الآن ـ بللا ميمونة .

ان المكارم لا تزال عتيـــــدة لمجاهد سلك الطريق موفقـــا
خفقت له رايات كل فضيلـــة وهواه حاد عن الطريق فأخفقا
ياسعد من لاحت له غرر الهدى فسرى واسرى غيره واستوفقا
وهمي به غيث تصوب صيبـا فسقى واسقى عاطشا وتدفقـــا
لله من (72) سرٌ سرى في غيره آوى (73) محباً عنده (74) فترفقا (75)

# فــــصـــــل

13 — ومنهم السائس القياد ، الكبير الاعتياد ، المبرز في حلبة الجياد المعد في ميدان الاجتهاد ، الساري ، الشيخ **ابي محمد المساري** ، حسنت انابته واستقامته وتساوت رحلته واقامته ؛ فظهرت له الكرامات التي بـدت للسابقين وارتسم برسمها في رعيل الصادقين وقد قيل ان التصوف اقامة واستقامة

حدثني الجمهور من بقوية (عنه) بأنواع الكرامات من المشي على الماء ، والطيران في الهواء ، وغير ذلك من طي الأرض ، وألف السباع ، وكان ساكنا بمنزل اسكوم من بلاد بقوية ، وهو مدفون في حجر جامعها ، وفي نوعه قـلـت

من كان لله العظيم مطيعــــا اضحى به نور الرشاد سطيعـــا
واتته وحش البيد من غاباتِها تبغي رضاه فريدة وقطيعـــا
فاقبس اخي من نورهم تلق (76) الهدى وتكن حبيباً للاله مطيعــــا

---

72) كلمة (من) ساقطة في النسخ التي بين ايدينا والوزن والمعنى يقتضيانها

73) في الأصول (رأي)

74) في الأصول (له)

75) من بحر الكامل

76) في الأصول (تلقى) ، ولعل الصواب ما اثبته (تلق) .

## فـــصـــل

14 ـ ومنهم المجاهد المعتضد الشهاب المرتصد ، المخلص ، في كل ظل متقلص ، المقبول الدعوة ، المجبول على حب الخلوة ، المؤثر بالأعراض الجزلة المستأثر بالعزلة وقد قيل ان التصوف استئثار وايثار وهو الصحيح العقد المحكم السرد على العكس والطرد الشيخ **ابو عبد الله الفرد** .

كان رحمه الله صاحب مكاشفة ، وكراماته اربت على الحصر واشتهر بها ما بين ابناء العصر وكان كثير التصدق والايثار على ذوي الحاجات والفاقات ، وكان مبالغا في اكرام الضيف ، يقدم اليه كل ما يكون عنده من قليل وكثير ، مع دعاء مستجاب ، به كل ضر ينجاب ، وفي وصفه نظمت

| | |
|---|---|
| من سره طيب الحياة فلا يزل | يقرى ويُقري دائماً ويجود |
| وصف الولي تطلق وتعطف | وتوحد وتهجد وسجود |
| ان عز جود في الولي فانه | في كل عبد مخلص موجود |
| فنجومه بالصالحات طوالع | ورياضه بالمكرمات مجود (77) |

## فـــصـــل

15 ـ ومنهم محكمُ الأصول والفروع المحافظُ على كل مسنون ومشروع ، غيث الجديب وغيث المروع ، وجابر كل مفجوع ومصروع ، الراضي في دنياه بالكفاف ، المظاهر بين درعي الصدق والعفاف ، والانقباض على الناس والانكفاف ، الشيخ الفذ **ابو يعقوب ابن الشفاف** ، كان رحمه الله تعالى ، كثير الحياء عتيد الاحياء ، وقد قيل ان التصوف حياء واحياء .

---

77) من بحر الكامل .

حدثني الشيخ الصالح المؤذن يوسف بن عبد الله المدفيعني ، قال كنت اخدمه وكان قدم على بادس واستقر بها ، وهو من اعيان قصر كتامة خرج من بلده رافضا لجاهه وزهرة دنياه فصحب الزهد والورع والتقلل من الدنيا حتى مات ، قال المؤذن يوسف اقام سنين لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى ، وفي بعض الليالي سألني هل السماء مصحية او مغيمة ؟ فاخبره بحالها

وحدثني ابي اسماعيل بن احمد رحمه الله تعالى قال كان الشيخ ابو يعقوب ابن الشفاف عالما بالفروع والأصول وكتب التصوف ، وكان اوحد زمانه ورعا ، دخلت عليه يوما فاخرج لي ورقة من كتاب المستصفى ، وقد اخترق وسطها ، فقال لي اجبر هذه الورقة ، فقلت وما احرقها ؟ فقال لي كنت البارحة انظر فيها ، فقربتها من القنديل فسقطت عليها نقطة من الزيت فاردت ان انشفها بشعاع السراج فاحترقت

ومن اعجب كراماته ما استفاض ببادس وشاهده الخاص والعام وذلك ان امرأة كانت زوجا لرجل يعرف بالمغربي ، مات زوجها وترك لها ابنين فبلغ احدهما وصار يعيش مع امه واخيه اليتيم الصغير ، وكان بحريا ، فسافر من بادس الى سبتة فأسره العدو من مقربة بادس ، قال المؤذن يوسف فدخلت المرأة التي اسر ابنها في ذلك اليوم على الشيخ ابي يعقوب وقد امسكت ولدها الصغير اليتيم بيدها فوجدت الشيخ قاعداً على الكرسي يتوضأ لصلاة الظهر ، فسلمت عليه وتقدم الصبي فقبل يده ووقف بازائه ، فقالت له ياسيدي كان عندي ابن اكبر من هذا يخدم علينا فأسره العدو وبقيت حائرة بهذا اليتيم ، فادع الله تعالى ان يجبر علي ولدي ، قال فمسح الشيخ على راس اليتيم ، وقال له يرجع اخوك ان شاء الله ، قال فلما كان وقت العصر نادى مناد بأعلا جبل العقبة المشرفة على بادس من جهة قلعة صنهاجة ، الحقوا بياليش (78) وهو على فرسخين من بادس ، فان السلورة التي كانت في الجزيرة الشرقية قد انكسرت،

---

78) ياليش : بياء فألف ثم لام وياء فشين وتصحفت في بعض المصادر ببليش .

قال  فتسارع الناس في البر ، وبعضهم في البحر في الزوارق ، فوجدوا الأمر حقا ، والآسر من الروم قد عاد مأسورا لأسيره من المسلمين ، فأتوا بالجميع الى بادس ، وآب ابن العجوز التي دعا لها ابو يعقوب على امه ، فقيل لهم كيف اتفق في كسر السلورة ؟ قالوا  اخرج الروم كل ما فيها وجلسوها في الجزيرة ليطلوها بالشحم ، فلما ارادوا ردها الى البحر لطمها موج ، فتفتحت ألواحها وتكسرت

قال المؤلف  شاهدت ذلك اليتيم ابن العجوز الذي كان اخا للأسير شيخا كبيرا  وما زال يسافر في البحر طول عمره ، فما نكب قط ببركة وضع الشيخ ابي يعقوب يده على رأسه

وحدثني المؤذن يوسف ، قال  كنا ليلة مع الشيخ ابي يعقوب ونحن نذكر الله في جماعة ، فرفع رأسه ، فقال  ما بال الملائكة ترجع عن باب البيت ؟ ففتشوا عن السبب ، فوجدوا الزيت الذي ساقه بعض الناس ، وهو زيت النقطة

وحضر مجلسه ليلة اخرى جماعة يذكرون الله تعالى  وفيهم رجل منشد يعرف بمحمد الغماري عليه جبة قرمز ، فرفع رأسه ، وقال  ألم اقل لك جرد تلك الجبة عنك فلم تفعل ؟ فأخرجه الحاضرون ، وبحث عن الجبة فكانت مغصوبة غصبها بعض العرب المتغلبين على حوز بادس لبعض التجار قطع الطريق عليهم وسلبهم

وحدثني يوسف المؤذن المذكور قال  خرجت ليلة من الليالي من المسجد بعد العشاء الأخير مع سيدي ابي يعقوب ، فرد راسه الي وقال لي يا يوسف ، ارى شيئا يغلي في قلبك ، تكلم به ، قال  وكنت اردت ان اسأله عن مسالة فاستحييت منه ، فبقيت متردداً في سؤاله ، فكوشف بذلك ، فاخبرته بما كان عندي ، فأجابني عنه ، وفي وصفه اقول

| | |
|---|---|
| القت اليك المكرمات زمامها | ورعى بحق الله ثم ذمامها |
| ألقيت اليه المكرمات زمامها | نعمى تولى الله منه تمامها |

يازهرة سقيت بمزن حكمــــة / في روضة فتق الرشاد كمامها
طابت وطاب نباتها فنماؤهــا / يحيى بظل يستمد غمامهــا
ياحسنها وجمالها وكمالهــا / وبهاءها وضياءها وتمامهــا
لم تدر اغصان لها في روضها / شبها لها لارندها وثمامهــا
من ذاق خمرتها استراح فلم يـذق / موتا يعالج سقمها وحمامهــا
ومن استقل بشكرها جارى بها / خيلا تطاول نشوها وجمامها (79)

## فـــصـــل

16 ـ ومنهم ذو اليقين والاخلاص ، والاثرة والاختصاص ، الساعي لنفسه بجده في الاخلاص المجـد المجتهد الناهض الشيـخ **ابو العباس الناهض** ؛ كان جليل الخطر تكاد كراماته تعادل القطر ؛ وكان بطريق الآخرة عليما وفي مواطن الأنفة حليما ، وقد قيل ان التصوف علم وحلم

ومن عاداته المستمرة ان لا يدعو لأحد في كشف كربة او نيل قربة ، الا على شيء معين ياخذه منه . حدثني خالي يحيى بن حسون ، ان اباه حسون كان استقر اخوه محمد بن علي بمالقة ، اعادها الله للاسلام (80) ، فقيـل لأخيـه حسون ان ابن ناهض له دعاء مستجاب ، قال محمد بن علي : فجئته فقلت ان لي اخا قد اسره الروم وهو بمالقة ، فقال لي : تعطي اربعين ديناراً ويخرج اخوك ، فقلت له عسى تخفف عني ، فقال لي سر لا يخرج بأقل مـــن اربعمئة دينار ، فقضيت العجب مما شاهدته منه

79) من بحر الكامل

80) مالقة من المدن الاندلسية الساحلية جنوبيا ، وقد احتلها الاسبان سنــة (892) ، فالدعاء بان يعيدها الله للاسلام هو من الناسخ والا فهي خرجت من حـــوزة المسلمين ـ كما اسلفنا ـ بعد تاليف الكتاب بنحو مئة وسبعين سنة .

وحدثني غيره قال كان بمدينة سبتة رجل قراق ، وكان له ولد سافر الى مالقة واقام بها فما زال ابوه يوجه اليه ان يرجع فأبى ، فأتى الى الشيخ ابي العباس ابن ناهض وعرفه بالقصة فقال له تعطي ربع قنطار من سميد وياتيك ولدك ، قال ففعل الرجل ، واول جفن وصل الى سبتة من مالقة وصله فيه ابنه

حدثني الشيخ عبد الله بن الرايس علي المعروف بالبيدقي قال اتى الشيخ ابو العباس ابن ناهض من مدينة فاس قاصداً الى مدينة سبتة ، فمر بنا في منزل تلارجا فأقام عندنا ـ وكان بعياله ـ فقطع لهم في جانب من المسجد ، فهال البحر ومنعهم من السفر اياما ، فلما كان بعض الأيام والبحر على حاله ، قال لعمارة الزورق قد طالت اقامتنا هنا فتهيأوا للسفر فقالوا له انه لا يقدر احد ان يقارب البحر فقال لهم خذوا في السفر على بركة الله تعالى فأمرهم بتنقيل اسماطه وكتبه الى البحر فما فرغوا من توصيل ذلك الى الساحل الا والبحر قد سكن وسجا (81) فرفعوا زورقهم وركب فيه بأهله وسافر الى مدينة سبتة فأقام بها الى ان مات وفي ذلك قلت

| | |
|---|---|
| والبحر يسكن خيفة من ناسك | ورث الولاية كابراً عن كابر |
| اخلاقه مخلوقة" من شاكر | وطباعه مطبوعة من صابر |
| وعلومه معلومة وصلاته | موصولة بدفاتر ومحابر |
| شهدت له آياته واماته (82) | بالصدق في ماضي الزمان الغابر |
| لله در ممكن في ماله | متهيىء للحادثات مصابر (83) |

---

81) سجا سكن

82) إمات جمع امة المكان المرتفع ويعني بذلك ان آياته وعلاماته تشهد بالصدق

83) من بحر الكامل.

# فصـــل

17 ـ ومنهم العارف المحقق السالك المتحقق صاحب المجاهدة والحق المسلوب عن الاحقاد والاحن جواب الآفاق ، ومجير الرفاق قاتل عبدة الصلبان من الأساقف والرهبان القائم على نفسه بالحسبان منير دياجي الظلام الحالك الشيخ **ابو مروان عبد الملك** وهو من اهل وجانس كان جامعاً لكل فضل تجانس مباعدا لكل خدن مؤانس لم يزل جواب قفار وخدين اسفار وقد قيل ان التصوف عزم وحزم

حدثني عنه الحاج يحيى بن حسون وكان صحبه وخدمه قال كان الشيخ عبد الملك كثير الدعابة والبسط حتى يقول مَن يجهل حاله ليس هذا بـولـي

وحدثني بعض اهل بادس واظنه عبد الله ابن الرايس علي البيدقي قال قعدنا في جماعة من اهل بادس الى الشيخ عبد الملك الوجانسي بمدينة سبتة ـ حرسها الله ـ ، فراينا له بسطاً كثيراً فقلت في خاطـري اين هـذا من سيدي يعقوب ابن الشفاف ؟ فقال فلا يكبر في صدوركم احد غيره ، فعملت انه صاحب كرامات

وحدثني خالي الحاج يحيى بن حسُون قال بات الشيخ بالشام في دير لبعض الرهبان فلما اصبح وهمَّ بالخروج لم يجد للدير بابـا فقـال للراهب اين الباب ؟ فقال له أليس منه دخلت ؟ قال فلم يزلْ يدور في الديْر فما قدر ان يجد الباب ، فقام معه الراهب فأراه مكان الباب ، ثم قال له كيف ترى تصرفت فيك مع زعمك اني على الباطل ؟ فسار عنه وهو في كرب عظيم فلما ورد مصر دخل على الشيخ علي ابن الصباغ (84) ، فقـال

---

84) هو علي بن اسماعيل بن يوسف ابن الصباغ القوصي ، صـاحب المعـارف والكرامات اخذ عن الشيخ عبد الرحيم المغربي ـ بقنا الصعيد ( ت 613 هـ ) انظر ترجمته في حسن المحاضرة للسيوطي 220/1 والطبقات الكبرى للشعراني 161/1 وفيه ابن الصائغ . ولعله تحريف .

يا عبد الملك ؟ كيف تتصور ان يتصرف فيك كافر ؟ ارجع اليه قال يا سيدي وهمة الفقراء معي قال وهمة الفقراء معك فرجع من فوره فلما رآه الراهب ارتعدت فرائصه ، وعلم انه ما رده الا امر زائد فقال له ما شأنك ياعبد الملك ؟ قال جئت لأواصل معك كم انت تواصل ؟ قال اربعون قال قد نقصتك نصفها فلما كان عند تمام عشرين يوما ، لم يقدر الراهب ان يزيد عليها لحظة فأكل فقال له قد نقصتك نصف العشرين فعند تمام عشرة ايام لم يقدر ان يزيد عليها الى ان مات النصراني جوعا ، وتخرب الدير فرجع عبد الملك الى الشيخ علي ابن الصباغ وقد تصرف ببركته في الراهب ، رضي الله عن الأولياء

وحدثني الحاج يحيى بن حسون قال كنا معه بالأندلس في سفر فبتنا في قرية من قرى البشرات (85) ، فلما اصبحنا اتانا رجل من المحبين بقصعة فيها دشيش البنج وهي الذرة وليس فيها ادام فقال الشيخ عبد الملك للمؤذن هات ذلك البنيس - يعني بنيس المسجد الذي فيه زيته - فقال له ياسيدي ليس فيه شيء ، فقال هاته على بركة الله تعالى ، فقال له الحاضرون افعل ما امرك به الشيخ ، قال : فناوله البنيس ، فأخذه وسمى الله تعالى وادار يده على القصعة ، فلم يخرج شيء فلما بلغ يده المكان الذي ابتدأ منه انبعث الزيت ينهمر على القصعة ، فأكل القوم الى ان صدروا عن آخرهم والزيت باق فلما خرج الشيخ حلف المؤذن بالطلاق البتة لمن حضر لقد قلب ذلك البنيس بعد صلاة الصبح ، فما وجد فيه قطرة

وحدثني الحاج يحيى المذكور قال لما استقر الشيخ عبد الملك بمدينة سبتة - حرسها الله تعالى - ، صار يصنع ليلة المولد طعاما للفقراء يأكلونه ، وكان طعامه الكعك والعسل ، ويحضر تلك الليلة الفقراء والمحبون يعمل فيها السماع ، فأتى فقير من المشرق برسم زيارته ، ومعه جراب من ورق

---

85) البشرات والبشارات منطقة جبال سيبرنفاندا انظر النفح 141/1 - ح - رقم (1) تحقيق احسان عباس ، ونهاية الاندلس لمحمد عبد الله عنان 147/1 .

القتيب المعروف عند المستعملين له بالحشيشة وكان بات ذلك الفقير ليلة وروده برابطة حجارة السودان خارج البلدة فلما اصبح قال ليس من الأدب الدخول على شيخ من المشايخ بشيء محرم قال فعمد الى مقبرة ودفن فيها جرابه ودخل على الشيخ ، فلما كان الليل راى الفقير قناديل الزجاج والسماع والشطح قال انما يصلح استعمال ذلك المعلوم في هذا الوقت فعزم ان يمشي اذا اصبح ويأكل منه شيئا ويعود الى دار الشيخ فلما اصبح ، امر الشيخ احد خدامه فقال له سرْ الى مقبرة حجارة السودان الى الروضة التي صفتها كذا وستجد فيها جرابا مملوءا بشيء فأقذف به في البحر ففعل الخديم مثل ما امر به الشيخ ورجع فلما طلع النهار خرج الفقير الوارد ووصل الى المقبرة التي كان دفن فيها جرابه فما زال يفتش ظناً انه خفي عليه مكانه فلما لم يجد شيئا رجع الى دار الشيخ فقال له الشيخ عند دخوله عليه يافقير أكل شيْئك الأموات ! فقال الفقير ياسيدي ، انا استغفر الله تعالى ثم قام في الاستغفار وخرج عن خراقه فتصرف الفقراء

وكرامات الشيخ عبد الملك كثيرة وانما ذكرته وان كان اندلسي لأنه كانت له سياحة في بلدنا ، وتطوف على الصالحين زائراً لهم

قال الحاج يحيى وشيخ عبد الملك هو الشيخ ابو محمد صالح الماجري شيخ آسفي في وقته (86) وحدثني عنه انه قال اردت ان آخذ عن شيخ في الديار المصرية ( فقال ) (87) انما شيخك ابو محمد صالح بآسفي ، فشددت وسطي اليه ، فلما دخلت عليه قال لي ياعبد الملك ، ما جئت حتى وجهت

قال المؤلف والشيخ ابو محمد صالح من اكابر مشايخ المغرب وقد ادركه ابن الزيات ولم يذكر له كرامة ، لأنه كان في حين تأليفه الموسوم

---

86) ابو محمد صالح من شيوخ التصوف ، توفي في صدر المئة الثامنة للهجرة انظر المنهاج الواضح في مناقب ابي محمد صالح ص 352 والسلـــوة ج 42/2 والديباج 132

كلمة ( فقال ) ساقطة في النسخ التي بين ايدينا ، والمعنى يقتضيها .

بـ « التشوف ، الى رجال التصوف » حياً ، وشرط انه لا يذكر احداً من الأحياء ، وكذلك عادة المؤلفين في الكرامات غير ان القشيري لم يراع ذلك ، وذكر عن الأستاذ ابي علي الدقاق (88) والشيخ ابي عبد الرحمان السلمي (89) كرامات وألف الشيخ ابو محمد صالح كتابا في التصوف حسن الترتيب كثير الافادة نقله عن كتب التصوف سماه تلقين المريدين » وذكر فيه نبذاً مما اتفق له قال فيه اشتد علي انكار الفقهاء فبت مهموماً ، فرايت في المنام ملكيْن نزلا من السماء فوقفا علي فقال لي احدهما لا تهتمّ لانكار هؤلاء الفقهاء فانهم كلُهم أرضيون ليس فيهم سماوي ـ يعني مَن يوافق علمُه عملَه ، وانا المقتضب في وصفه

| | |
|---|---|
| شمس العلوم يالَّها من شمّس | تبدو فتعلو ثم ليس تمسي |
| يارائما شبهاً لها قياساً | هيهات ليس اليوم مثل الأمس |
| للحق سرٌ بالغٌ يراه | مَن كان خلْواً من محاق الطمس |
| وكل سر غامض فشيءٌ | بيَّنه معنى الصلاة الخمس |
| فعالِم الأخرى غدا سعيدا | وعالم الدنيا هوى في الرمس |
| مَن ظل يبغي رفعةً بنقص | كان كباغي كوكب بلمس |
| فذا وذاك في القياس قطعا | ضدان ِليس البدر شبه الشمس (90) |

# فصل

18 ـ ومنهم المتقي المرابط المنقطع في مهجور الروابط الناظر الى اعماله بعين التقصير المتوكل في احواله على السميع البصير ، الشيخ

88) تقدمت الاشارة الى ذلك في ص 11 رقم 60

89) ابو عبد الرحمان محمد بن الحسين السلمي صاحب « طبقات الصوفية » ( ت 412 هـ ) انظر ترجمته في تاريخ بغداد 248/2 ، واللباب 554/1 ، وميزان الاعتدال 46/3

90) من بحر السريع

**يوسف القصير** ، كان رحمه الله متسترا بالاكتساب بريئاً من الدعـــاوي والانتساب مثابراً على ما يعنيه من ذخر الاحتساب وقد قيل ان التصوف اكتساب واحتساب

حدثني الحاج ابو علي الحاج بن هنا البادسي الزهيلي حدثنـي يوسف بن احمد البادسي قال كان في بادس في رابطة الجن شيخ اسمه يوسف ويعرف بالقصير وكان تعيشه بالصيد في البحر كان يصنـع سلة فيصطاد بها وكان من عاداته ان يصوم شهر رمضان في سبتة قـال الراوي فاتفق ان سافرتُ مرة الى سبتة في شهر رمضان فالفيت بها الشيخ يوسف القصير ، فلما صلينا ليلة سبع وعشرين بسبتة ووافقت ليلة الجمعة ، فأصبحنا يوم الجمعة آخذين في السفر الى بادس وكانت الريح غربية وهي مما يساعدنا في التوجه الى بادس فلقيت الشيخ يوسف فقال لي متى تسافرون ؟ قلت له بعد الصلاة ــ ان شاء الله تعالى ــ ؛ فقال اسافر معكم فساق الى القارب حصيرا واسفاطا قليلة من متاع البيت ، فجعلها في القارب فقلنا قد جهزنا جميع ما نحتاج اليه فاذا صلينا سافرنا فلا تبطيء بعد الصلاة بوجه ، قال نعم فلما صلينا طلعنا فاذا به قد جاء الينا فقلنا له ٱركبْ معنا قال قد بدا لي واريد ان اصلي العصر مع المسلمين سيروا في حفظ الله تعالى قال فنشرنا قلاعَنا من مرسى بسول (91) وساعدتنا الريح الطيبة فبلغنا الى مرسى ياليش في نصف الليل فبتنا فيه الى السحر ثم وصلنا الى مرسى بادس في الغبش فراينا ماشيا على الساحل قاصـدا الينا حسيناه صبياً واذا به الشيخ يوسف فسلم علينا واخرج البرية (92) فربطها في حجر واخذ ماعونَ بيته وانصرف وما فينا مَن تذكر انه كان معنا بالأمس في سبتة ، وانا تركناه بها ؛ فبعد ذلك بأيام تذكرت ذلك ، فقلت له ياعم يوسف ألم تكن قعدت بسبتة بعدنا ثم وجدناك من الغد على ساحـل البحر ؟ قال نعم وما ثبطني الا اني وجدت في ياليش بقرة لأولاد يديـر

---

91) من مراسي سبتة انظر الحلل السندسية 12/65

92) البرية : حبل يربط في القارب الكبير ويجر به الى البر .

فبلغتها لدارهم ؛ قال الراوي اجتمعت بأحد اولاد يدير ، فقلت له هل ضاعت لكم بقرة في آخر شهر رمضان ؟ قال نعم فلقد طلبناها عامة تلك الليلة ، فما وجدنا لها خبراً ولا اثرا فلما أيسنا منها ورجعنا الى منزلنا ، سمعنا شخصاً يقول في جوف الليل اخرجوا الى بقرتكم فخرجنا فوجدنا البقرة وما معها احد ، فقضينا العجبَ من ذلك . قال الراوي فصححت المسألة ـ نفع الله بــه

وانشدوا في معناه

| | |
|---|---|
| من حل غرم عقدة الأصـــرار | عن قلبه ناجاه بالأســـــرار |
| وكساه انوار المهابة والتقـــى | واحلّه في زمرة الأبـــــرار |
| وافاض احساناً عليه وخصّــه | من فضلــــه بالصيب المدرار |
| فالأرض تُطوى دونه لمسيـــرة | فيها مسير كـــواكـب ودراري |
| بدر الولاية في سمو سمائـــه | في الأمن من نقص ومحق سرار (93) |

# فـــصـــل

ومنهم الزكي الصالح مسفر وجه كل خطب كالح ، المصرف بجده واجتهاده في مرضي المصالح المجاوز عن كل طالح الشيخ **ابراهيم بن صالح** وكان من وجوه المزمة واعيانها الفائز من الصالحات بعقبانها وهو حميري النسب ، فيما اعتزى وانتسب دأب على حياته في التستـــر بالأوراد ، وتحسين المدعى فيها والمراد ، فنال من كرامة الله ما وافق المراد ، وقد قيل ان التصوف مراد ومراد

93) من بحر الكامل .

حدثني عنه بعض اقاربه قال سمعت علي بن صالح وقد ادركتـه ـ وكان شيخاً مسناً ـ ، قال كان الشيخ ابراهيم بن صالح عماً لي لأني اجتمعت معه في صالح قال واشتهر حاله في الصلاح في آخر عمره وما كان احد منا يتهمه بشيء من ذلك فمما اشتهر عنهانه كان له جنان بخارج المزمة فيه رمان طيب ، فكان السراق يأتون ليلا فيأخذون منه ما يشاؤون فلا ينقص ذلك من رمانه شيئاً ؛ قال بعض السراق حملت ليلة رماناً من جنانه فلما فتحت واحدة منه ، وجدتها قد اسودت من العفن ، فتركتها وفتحت غيرها حتى اتيت على الجميع فوجدته كله فاسداً فاتيت الى الشيخ ابراهيم ابـن صالح فعرفته بذلك ، فقلت له انا تائب لله عز وجل لا سرقت سرقة ابداً فقال لي اذهب ، فكل ذلك الرمان ، فأنت في حل قال فعدت الى الرمان ، فوجدته نهاية في الطيب فتعجبت من ذلك

وحدثني عنه ايضاً قال كان اهله في جوف الليل يسمعون صليـل السطل في وسط الدار والشيخ معهم في البيت فيقولون له لعل السارق حمل السطل فيقول لا انما هو متوضيء يتوضأ به فكانوا يرونه بعض اصحابه من الجن المومن قال الراوي وكانت ارضه مجاورة لأرض غيره ، وهما شيء واحد في الجودة والسقي ، فتصلح ارضه في كل وقت ، وتقحط التي هي المجاورة لها لغيره ، وابتدهت في مثله

| | |
|---|---|
| اهل الحقيقة ان نظرت وجدتهم | متسربلين بكل فضل باهـــر |
| قهروا نفوسهم ففازوا بالمنى | من وجد رب ذي جلال قاهـــر |
| وتجوهروا بلطائف فتكللـــت | تيجانهم بزبرجد وجواهـــر |
| رتعوا بروض القرب فوق ارائك | في ظل ايناس ونفح ازاهـــر |
| فهم الذين استأثروا بمحاســن | حلت بواطنهم بحسن الظاهر (94) |

94) من بحر الكامل .

# فصـــل

20 - ومنهم النازح عن الأوطان الغني بالارتحال عن الاستيطان المبالغ في ارغام الشيطان مبتاع الذل بالاعتزاز الشيخ **الحسن ابن الخراز** تخلى - رحمه الله تعالى - عن الأهل والولد وتأنس بالانتقال من بلد الى بلد، فتجلى له من الأنوار ما قطع كل خصم ألد، وقد قيل ان التصوف خلوة وجلوة.

حدثني الحاج علي المؤذن الأندلسي قال كان الشيخ الحسنَ من اهل مالقة وهو ابن اخت ابي العباس القنجيري وكان خرازاً يشتغل بنسيج الديباج وتزوج بنت عمه بمالقة ثم زهد في الدنيا وخرج متجرداً للعبادة قدم على بادس - وهو شيخ في حوز الثمانين سنة - اعني من عمره ونزل برابطة البحر فأقام بها مدة وكان له خديم اسمه موفق وكثر الخصب في تلك الرابطة بسببه وكان لا يصل قارب الى مرسى بادس الا اعطى شيئـــا باسم الرابطة

حدثني الحاج الحسن ابن هنا قال وصل قارب كبير من اشبيلية الى مرسى بادس موسوقاً بالتين والزيت يريد التوجه الى وهران فأقلع القارب ولم يعط برسم الرابطة شيئاً فأتى الخديم فوقف الى الشيخ فقال له قد اقلع القارب فقال يرجع حتى تأكلوا من زيته وتينه قال فردت الرياحُ الشرقيةُ عليه فدخل مرسى ياليش فلما ساعدتْه الرياح اقلع فخطر على بادس فعرف الخديمُ موفق الشيخَ به فقال يرجع حتى تأكل من زيتـــه وتينه ان شاء الله، قال فوردت علينا نوءة عظيمة من الريح البراني، وراى مشقة، ودخل مرسى ياليش بعد ما تكسرت رجلا القارب، فوصل وكيلُ القارب في فلوكة له الى بادس يشتري به خشباً يصلح به الرجلين، فعرفـــه بعض الناس انه انما اصابهم ما اصابهم بسبب قطعهم عادة الرابطة، وان الشيخَ قال لخديمه ما قال فحمل الوكيلُ الخشب، ورجع الى الرابطة بجرة زيت وعدل تين، فرفعه للخديم ويسر الله تعالى عليهم

وحدثني المؤذن يوسف قال كنت يوما بسوق مسطاسة وهو يوم الخميس فرايت سيدي الحسن الخراز قد خطر علي فقمت له وقلت له ما حاجتك هنا ؟ قال حضرت مسافرا اريد الزيارة بسبتة فاشتريت له خياراً فأخذه وانصرف وكانت القائلة الهاجرة فبعد ايام اجتمعت به ببادس فقلت له ياسيدي اين بت ذلك اليوم الذي جزت على مسطاسة فقال لي في ترغا (95) عند فلان بن فلان قال فأتى ذلك الرجل إلى بادس ، فقلت له اي ليلة بات عندك سيدي الحسن فقال ليلة الجمعة فتعجبت من ذلك فانها مسافة بعيدة وعرة مع شدة الحر ! فلما اجتمعت بالشيخ الحسن قلت له قد اجتمعت بالرجل الذي بت عنده بترغا ، فقال لي نعم عندي بات تلك الليلة قال فغضب حتى اثر ذلك في وجهه ، ثم قال لي لا نفعني الله بكل ما رايت ما بت عنده حتى قضيت زيارتي بسبتة ورجعت

وحدثني علي الأندلسي المؤذن قال قلت له هل رايت الخضر ؟ فقال لي اظن رايته ، فاني تهت يوماً في صحراء ، وسقطت من الجوع والعطش ، فأتاني رجل بركوة ماء وتمر ، فشربت واكلت ودلني على العمارة ، فخلصني الله به ولم اسأله من هو فوقع لي انه الخضر ـ عليه رضى الله ـ والله اعلم

وفي مثل حاله اقول

ظهرت لي الآيات في فلواتـــه ... مُتأنسا بالله في خلواتـــــه
وافـاه وافـد رحمـة وكرامـة ... والاه صب الماء في ادواتــه
فاعجب لمن اضحى بقفر عاطشا ... فرأى زلال الماء في لهواتـــه
اغفى يراقب ان يموت فجـاءه ... فرج" به قد غب من غفواتـــه
فصحا وصحَّ يقينُه ولربمـــا ... جاء اليقين المر في نشواتـه (96)

---

95) قرية على شاطيء البحر في شرقي تطوان ، تبعد عنها بنحو 60 كلم

96) من بحر الكامل .

# فصل

21 ـ ومنهم المنفرد عن المال والأهل المتقصي من زيفة الشكوك والجهل القاطع اوقاتـه بالنحيب والعويـل الشيخ **عبد الله الطويل** ، كان بمصباح الرضى مستصبحاً ، وفي جميع اوقاته لله تعالى مسبحاً ، وقد قيل ان التصوف ذكر وسكر وشكر

حدثني الشيخ محمد ابن الصبان قال كان عبد الله الطويل من اهل فاس ، وكان من المنقطعين الى الله ، والمداومين على التسبيح ، لا يزال يقول سبحان الله سبحان الله حتى صار له كاللقب فكان يعرف عندنا بسبحان الله واشتهر بذلك شهرةً لزمتْه لزوم الوشم فحدثني عبد الله سبحان الله عن نفسه قال خِطتُ لبعض المشايخ ثوباً بالديار المصرية ، فلما دفعتـه اليه اخذه ونشره ثم قال لي ياعبد الله غبنت هذه الغرزة وحدها ، لم تقلْ عليها سبحان الله فان كل غرزة في هذا الثوب مكتوب عليها سبحان الله ، الا هذه الغرزة واشار بيده اليها

وحدثني عنه الحاج علي الأندلسي قال قال لي عبد الله سبحان الله تهت يوماً بالشام فاستندت الى حائط ، فانبهني رجل وقال أنائم ؟ انظر ما بازائك ! فنظرت فرأيت في الحائط سهمين مركوزين عن يمين رأسي وشمالي ، وبالقرب مني رجلا ميتاً ، فقلت له ما هذا ؟ قال ذلك الميتُ كان رفيقـي ونحن لصان ، فلما رأيناك قاعداً رميناك بسهمين لنقتلك فهما هذان ، وتقدم صاحبي قبلي اليك ، فسقط ميتاً ، فتبت الى الله تعالى ، قال فوارينا الرجل ، وحمل صاحبه متاعه وسلاحه وكفاني الله امرهما ، له الحمد الذي هو اهله .

وانشد المؤلف رحمه الله تعالى

| | |
|---|---|
| اني اراك حجبتنـي ومنعتنـي | من كل بـاغ ظالـم ومحـارب |
| وجعلتَ لي معنى التقى وزراً وما | اخشى دسيسة قائل او ضارب |

| | |
|---|---|
| صيرتَ مَن رام اغتيالي شاويا | من سم موت في المهامه سارب |
| انا ما اقوم بشكر ما اوليتني | مِن نعمة قامت بحفظ ماربي |
| شكراً لأنعمك الجسيمة انها | غوثُ الطريد وأمنُ خوف الهارب |
| طلعت لي الحسنى بأفق مشارق | فهوى الهوى عني بأفق مغارب (97) |

# فصل

22 ـ ومنهم ذو المقام الأعلا الذي لا يطال سمت نسكه ولا يعلا ولا يزيل لمشيه على متن البحر نعلا **الشيخ ابو يعلى ، وهو الفتوح بن ابي بكر المتيوي** المرواني من سكان اوزيغت (98) وكان ابوه ابو بكر حاجا وليا من اولياء الله تعالى وظهرت لأبي يعلى رحمه الله كرامات دلت على صدق ولايته وكان غني الظاهر فقير الباطن معتدل الأحوال صادق الأقوال والأفعال كثير الانبساط خصب البساط فسيح الرحل قليل المحل لا يزال ضيفه في خفض ،وحاله في رفض وقد قيل ان التصوف رفض وخفض

وحدثني محمد بن قاسم قال توجه الى المشرق رجل من المصامدة يحج فباتوا عنده فقال لواحد منهم ارجعْ ولا تفعل ما جئت بسبيله ، فانك سقت المسكر في ذلك الجراب الذي معك لتغتال به مَن ترى عنده شيئاً من هؤلاء الحجاج ثم امر بفتح الجراب فوجد فيه المسكر فأمر بطرحه في التراب ثم عطف على شيخ الجمع فقال له انت فيك شراسة وحدة فارفق بأصحابك فكان ذلك مما سر اولئك الحجاج فاعترفوا بمكاشفته

وحدثني عنه بعض اصحابنا قال ابو يعلى قعدت يوماً على حجر في وسط البحر اتفكر في المشي على الماء فنازعتني نفسي الى ذلك ،

---

97) من بحر الكامل .

98) ـ وهو دفين هناك ، ولا يزال قبره ماثلا الى اليوم

فقست ذلك فغرقت وخرجت وقعدت مغتماً فرايت شبه سحابة قد اقبلت من ميناء سبتة فما كان الا قليلا حتى وصل اليَّ رجل فمشى على الماء حين قاربني حتى وصل اليَّ وقال يابي يعلى هكذا يكون المشي على الماء ، فقضيت العجب من ذلك ، وفي ذلك قلت

| | |
|---|---|
| كنا نؤمل زورةً من طبعـــه | ليـلا فأنعـم بالمزار نهـــارا |
| طارت به اشواقه متعاليـــاً | فأتى وقد ركب السحاب جهارا |
| فكأنها تسري به في افقهـــا | فرس تسابق في اطراد مهارا |
| نمَّ النسيمُ بعرفـــه فكأنـــه | طَلٌ يلاقي في الرياض بَهارا |
| لو انه لمس الصفا بيمينـــه | ابدى لنا ذلك الصفا انهـارا (99) |

## فـــصـــل

23 ـ ومنهم الفقيه العالم العلامة الأشهر السراج المنير الأزهر ، الأعرف الأظهر الأزكى الأطهر **اسحاق بن مطهر** (100) وهو من قبيل بني ورياغل ومن فخد بني يملك ويعرف في وقته بالأعرج (101) لأنه خرج عليه اللصوص ليلا في مسجد من بلاد سدراتة حين قراءته فيها فاصيبت رجله فعرج منها عرجاً شديدا ، وكان شيخه ابو محمد الهسكـوري (102) كان الفقيه اسحاق اوحد زمانه في الفقه والسخاء واحفظ خلق الله لأسباب الاخاء ما لان جانبه قط لسلطان ولا تعلق جاهه منه باستبطان (103) ولا عدم منه ضعيف موالاة اشفاق ولا شاهد منه قويٌ وجهَ نفاق وكان قليل المنة شديد المنة وقد قيل ان التصوف منة ومنة

---

99) من بحر الكامل

100) في نيل الابتهاج ( مطر )
ومطر هو الصحيح ، واصلها مضر والبربر يقلبون الضاد طاء ( مطبعة )

101) في بعض النسخ زيادة ( الغلبزوري )

102) يعني به ابا محمد صالح دفين أسفي ، وقد تقدمت ترجمته .

103) كذا في نسخة ص ، وفي بعض النسخ باستطان .

وقع بينه وبين معاصريه من فقهاء فاس منازعة في مسالة فقهية كان الصواب فيها قائده والاصابة رائده فتحزب طلبة البربر في ذلك فرقا ورشحوا للمعاندة عرقا فشغب على الطلبة عند السلطان وقيل له ان طلبة البربر يريدون المخالفة على السلطان لكثرة عنادهم واستطالة ألسنتهم فأمر السلطان يعقوب بن عبد الحق بنفي الفقهاء وفيهم اسحاق وابو يعقوب المحساني وابو عبد الله بن عمران فتناول الشرطي اخراجهم فأرى الله فيهم البرهان وكان الذي تولى كبره منهم صاحب الشرطة ، ويعرف بأبي العطور فصار يأكل من لحم اجنابه حتى مات فبلغ الخبر الى السلطان فأمر بردهم وصار السلطان بعد ذلك يعظمهم ومعظما للفقيه اسحاق ومعترفا بفضله يريد لقاءه فيتمنع منه

قال المؤلف لما بنى الأمير يعقوب المدرسة في قبلة جامع القرويين من رحبة البقر واراد دخولها صلى في جامع القرويين يوم جمعة وكان الفقيه اسحاق يصلي في الجانب الغربي من الصف الأول ، فلقيه الأمير يعقوب بعد صلاة الجمعة فقام اليه وعانقه ثم قعد معه وقال اسألك عن ثلاث مسائل فقال له لا فائدة لك في السؤال فانك لا تعمل بالجواب ، فألح عليه وابى وقال له عد عن هذا فما اجيبك بشيء فقال له ادع لنا فدعا له وانصرف

ومما شاهدناه من بركة دعائه ان ابا اسماعيل بن احمد كان اراد التوجه الى تجيساس (١٠٤) من بلاد غمارة بعياله فتقدم ووجه الى عياله زورق صيد فخرج عليه عدو البحر بمرسى ياليش فأسرت زوجة اسماعيل وبنت لها منه صغيرة واخت لي شقيقة فتوجهنا في طلب قد ينتهي للأمير يعقوب فعرفنا الفقيه اسحاق بالمسألة فدعا لنا واعطانا نصف دينار ولم يملك غيره ، ومن الغد دخل عليه الشيخ زائراً ، فقال له ارفع طرف المطرح ،

١٠٤) مدينة بشرقي تطوان تبعد عنها بنحو ٧٠ كلم وقد خربها الاسبان اواخر المئة الثامنة للهجرة .

وخذْ ما تحته فوجد تحته ستة وعشرين ديناراً ذهباً فقال هذه ساقهـــا بعض المحبين برسم اولادك فإنك لما خرجت دخل علي فوجدني مهتمـــا بمسألتك ، فعرفته بها فاتاني بذلك العدد ثم دعا لنا وتوجهنا الى السلطان فقضى الله الحاجة ودفع لنا الف دينار وكنا قاطعنا على البنتين وامهما بمئتين وثلاثين ديناراً ذهباً فيسر الله فيها في اقرب وقت وتوجهنا الـــى كدية غصاصة (105) فوجدنا الأسارى قد وصلن قبلنا بليلة فبتنا معهن ليلة وصولنا ، ويسر الله تعالى في خلاصهن ببركة دعاء الشيخ اسحاق وحسن مشاركته وانا المنشد في نعته

| | |
|---|---|
| العالم الأتقى له شرف فمـــا | ينفكُ في الدنيا رفيع مكـــان |
| ربحت تجارتُه فراح مخـــولا | من مال بـــر دائم الامكـــان |
| رسخت قواعد علمه فاستحكمت | بالرشد قائمةً على اركـــان |
| فكأنَّ ما يهدي الى اهل التقى | من علمـــه ويقينه ملكـــان |
| من كان ذا فلك يدور بحكمـة | فله بأفق سمائنا فلكـــان |
| ما السر في مغنى ولكنْ ان ترد | معنى يفوق (106) السر في السكان (107) |

## فـــصـــل

24 ـ ومنهم الجارى في حلبة السباق السابق باثرة السبـــاق المحروس من كيد البغاة ، وسطوة الطغاة ، ذو الفضل المرسوم والزهـــد المسطور ، الذي لا يطير بحمائه كيد ولا يطور ؛ **الشيخ موسى بن عيسى اطرطور**

---

105) تكتبها بعض المصادر بالسين وهي مرسى على مقربة من مدينة مليلية وكانت على عهد المرينيين حاضرة البحر ، ترسو بها اساطيل المغرب انظر تاريخ ابن خلدون 197/6 ، والاستقصا 117/3 ـ 117

106) في الاصول ( فاق ) ولعل الصواب ما اثبته .

107) من بحر الكامل .

وهو من اهل مطالسة (108) دثره من الكرامات طيالسة ، رام ان يختفي فما قدر ، وجاء الى محل الامتحان على قدر ، وقد قيل ان التصوف اختفـــاء واكتفاء

استفاض عنه انه جلس في الشام تحت علية يفتلي ، فحل مربطاً كان في وسطه وفيه خريقة فيها اربعون درهماً وقيراط ، وحل الخريقة وعد الدراهم وفوق راسه امراة شاطرة في العلية قد اشرفت عليه من الطاق ، فعاينت عدة الدراهم فلما همَّ بردها الى مربطه ، نزلت اليه وتعلقت به وقالت خريقة بدارهم وقعت من يدي من الطاق ، فالتقطها هذا المغربي وكان اصم ، ولذلك يدعوه اهل المغرب بأطرطور ، فلم يدر ما ارادتْ منه المرأة ، فرفعا الـــى الوالي ، فقال لها ما صحة دعواك ؟ فقالت ان عددها اربعـــون درهما وفيها قيراط زائد ففتحت ووجدت كذلك ، فأمر الوالي بضربه فلما هـــمَّ الحرسيُ بضربه ، احتبستْ يداه ، فقال له الوالي ما شأنك ؟ فقال لا استطيع حركة يدي ، فقال الوالي للمرأة والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك ! فقالت صدق وكذبت الدراهم له وذكرت له اشرافها من الطاق على عدها فأطلقـــه واعتذر اليه ، فسئل الشيخُ عن ذلك ، فقال رايت سيدي محمد اليستثني واقفاً قد حبس يدَ الحرسي وفي معناه قلت

رامو به كيداً فابطل كيدهـــم صدق اراه الستر حصناً مانعا
سُقيتْ مغارسُه فاثمرت المنى اذ كان منه الغصنُ غصناً يانعـا
واتاه لما كان مخلص نيـــة حفظ من الآفات ظل ممانعـــا
ابدى له اخلاصه وصفـــاؤه عند الأنام من الكمال مصانعا
ما كان ذا بغي ولا كيـد ولا والى صنيعاً بالرياء مصانعـــا
ما زال يرعى حقَ رب لم يزل ابداً لما قد شا فتيناً صانعا (109)

---

108) في النسخ التي بين يدينا ( بطالسة ) بالباء ، ولعل الصواب ما اثبتـــه ( مطالسة ) ـ بالميم ـ قبيلة ريفية ، اهلها رحل .

109) من بحر الكامل .

# فصل

25 ـ ومنهم الصادق الاخلاص ، العامل في مجاهدته على الاخلاص ، شيخ وقته مجاهدة ووصالا ، ونسيج وحده تقرباً الى الحق واتصالا ، والملازم للذكر بكوراً وآصالا الشيخ **علي بن ماخوخ التوزيني** ، وبنو توزين فخذ من بطيوة وبلده تسفت على عشرين ميلا من المزمة وشيخه الشيخ محمد اليستثني رضي الله عنهما ، كان على المجاهدة دائباً ، ومن خوف الوعيد ذائباً ولكل مقصر في الجد عاقبا (110) وعن الخوض في كل مكروه هائباً ظل لجمل الجميل راكباً ، وعلى منهج التقصير ناكباً وقد قيل ان التصوف نكوب وركوب

حدثني عنه الحاج سليمان الورياغلي انه لم يكن في خدمة الشيخ محمد اليستثني اكثر منه تقشفاً ولا اشهر في خدمة الفقراء والزاوية قال حضرت ليلة بزاوية الشيخ ابي عبد الله واشتد زئير الأسد فقال اما منكم من يكفينا هذا الكلب ، فخرج علي ثم عاد والشعر الذي ما بين عينيه في يد ومن الغد وجد الأسد قريباً من الزاوية ميتاً

قال المؤلف زرته في بعض الأيام فقعدت في مسجده ، والحاج علي في بيته فقعد الي فقير في المسجد فوصف لي القصة التي وقعت للحاج موسى اطرطور في الشام مع المرأة ، فقال لي الفقير بعد ذكره القصة المتقدمة ، كان الذي حبس يد الحرسي سيدي الحاج علي فيما اخبره به موسى ابن عيسى ، فبعد تمام الحكاية اتانا رسول عن الشيخ علي يدعونا الى بيته ، فقمت فخلفت الفقير في المسجد ، وكان حين حدثني الحكاية انا وهو ما معنا ثالث ، فدخلت على الشيخ ولم يكن وقت طعام ، فأخذ يتحدث في

---

110) عقبه : ضرب عقبه .

كرامات الصالحين الى ان ذكر قصة موسى بن عيسى وكيف احتبست يد الحرسي عن ضربه ثم قال كان الذي حبس يده سيدي محمد اليستثني ، ثم امسك عن الحديث فانصرفت وعلمت انه قد كوشف بما اسنده الفقير اليه فأراد ان يتبرأ منه وعدت الى المسجد فوجدت الفقير قاعداً ـ كما كنت تركته ـ ، ولو كان معنا ثالث او خرج قبل ان يستدعيني الشيخ ، لقلت اخبره بذلك مخبر

وحدثني خالي الحاج يحيى بن حسون ـ وكان يرد عليه ـ انه قدم علينا فقير من خدامه ـ وانا حاضر ـ بزبيب ، فأمر ان يضرب بالسياط ، وقال له خنت الفقراء في الزبيب ، فقال له اتوب الى الله تعالى ، فقال لي الفقير ياحاج هذا الشيخ صاحب مكاشفة اني اخذت من الزبيب ما اخذت في موضع خال ، بعيد من العمارة في قلب خندق ، لم يرني احد الا الله تعالى ، قال وكان قدم علينا آخر سنة خمس وثمانين وستمئة رجل احمق من قبيل بني جميل من صنهاجة بادس اسمه الحاج العباس بن صالح وادعى انه رسول الفاطمي وانه قد قرب وقته فدس في بعض الناس واتصل خبره بالحاج علي فقال لي قل له يلازم الخلوة ثمانية ايام ، فيظهر الله الحق فلما بلغه كلامه ، قال له ياحاج ليس هذا مقامك ، فبلغه جوابه ، فقال لا بد من قارعة تنزل به فأظهر الحاج العباس دعوته يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وستمئة ، ودخل بادس عنوة وسبى وقتل ، وتمادى الى المزمة ، فقتل بها يوم عشرين من صفر من العام المذكور ، وصلبت جثته على باب المزمة ، وحمل راسه فطيف به في بلاد المغرب ، وعلق على باب الكحل بمراكش مع راس ابي عامر عبد الله بن محمد بن علي بن محلى البطويي « صاحب مراكش » ، وكان قتله الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق في صدر ولايته الملك (111)

---

111) وذلك لما وقع من الارتياب بأولاد محلى ، بكثرة خروجهم على الدولة ، وكانت نكبته محرم سنة ( 687 هـ ) ، وهلك في السجن في صفر في نفس السنة . انظر الاستقصا 67/3 .

قال المؤلف فزرت الشيخ علي بن ماخوخ عقب موت الحاج العباس ، فجرى ذكره ، فقال لي كنت في الضحى قاعداً في مكاني هذا ، فخطرت علي سِنَة ، فرايت شخصاً في الهواء خاطرا علي وهو يقول لي في هذه الساعة قتل الحرباء ، فعند صلاة العصر من ذلك اليوم ، بلغني خبره انه قُتل في ذلك الوقت ، ثم قال لي الحاج علي اي شيء هي الحرباء ؟ فقلت له هي دويبة تتلون في الشمس ألوانا فسره ذلك وقال لي كذلك كان حال ذلك الرجل واشتهر عنه انه كان يواصل فسألت عن ذلك زوجته بنت علي بن عمران المطالسية (112) ، فقالت لي كان يبقى هنا مواصلا السبعة ايام والثمانية ، فلما قام الحاج العباس وقُتل وتغير راي' السلطان في الطلبة والفقهاء والفقراء والحجاج وصار يذكرهم بأقبح الذكر فاستعمل الشيخ علي السفرَ الى المشرق ، فغاب فيه نحواً من شهرين ، فلما رجع وجدت زاده كما كنت صنعته لم ينقص منه شيء فانه ما كان يأكل في سفره ما لأحد كائناً مَن كان ، فقال لي الخديم منذ غاب من هنا ما رايته قرب طعاماً

قال المؤلف وكان في (113) بدايته امياً لا يقرأ ولا يكتب فتعلم الكتابة وقرأ القرآن ، فما مات حتى حفظه

حدثني عن نفسه قال لما مشيت الى الحجاز ، كان طريقي على الصعيد فزرت الشيخ يوسف الأقصوري في زاويته ، وعند دخولي عليه وجدت خديم الزاوية يدور على الفقراء بآنية في يده فيها حلواء سكار فهم الخديم ان يدفع الي شيئاً ، فقال له الشيخ لا ، ثم قربت منه وقلت له ادع' لي ، فقال لي سر زادُك معك فخرجت عن الزاوية وانا جائع ، فبلغني انسانٌ فحملني الى معصرة السكار ، واطعمني حلواء سكار ، واعطاني فتوحاً ، وحججت ورجعت ، وما سألت احداً شيئاً ، الا اني كلما احتجت الى شيء يسره الله تعالى من غير مسألة

---

112) في الاصول ( البطالسية ) ولعل الصواب ما اثبته

113) كلمة ( في ) ساقطة في النسخ التي بين ايدينا ، والمعنى يقتضيها .

وحدثني ايضاً ـ رحمه الله تعالى ـ قال لما رجعت' من المشـــرق وتوجهت اريد الغزو بجزيرة الأندلس فبت في بادس على سطح الرابطة التي على البحر فرايت تلك الليلة القمر وضع في حجري ، وقال كان ابو محمد صالح يقول اری اصحابي ما داموا في البر ، فاذا دخلوا في البحر لم ارهم ، وبركة اولاد سيدي عبد الله يرون (114) اصحابهم في البر والبحر ويؤيد هذا ما ظهر على فقرائه ان من شأنهم الأسفار البعيدة يتوجهون الى اخوانهم من العرب والشاوية الساكنين في بلاد المشرق والمغرب فيأخذون منهم ما يجب عليهم من زكاة الغنم والابل فيبيعون ذلك وينض لهم من اثمانها مال كثير ياتون بذلك الى الشيخ ، ويقتحمون غمرات المفازات والطرق المخوفة ، فما سمع قط ان احداً منهم ناله مكروه في توجهه ولا في رجوعه ، وقعـــدت معه يوماً في بيته فقال لي صب بين يدي على هذا البساط ثلاثة آلاف دينار عشرية فضة فما قمت' الى صلاة العصر حتى فرقتها على الفقراء بقضيب كان في يدي وانشدت في وصفه

| | |
|---|---|
| ابدى له نعت' الجمال جـــلالا | فرأى به قتل النفوس حـــــلالا |
| لحظ الحبيب في قلبه في غيبه | فأنـالـه ما لا يطـاق جـــلالا |
| حسنت خلائقه لحسن حبيبـــه | فزكت شمائله حلى وخـــــلالا |
| وكساه في خلواته من نـوره | فسرى بليل لا يخاف ضـــلالا |
| رفض الوجود واهله فهم اذا | ما عاينوه عنوا له اجـــــلالا |
| ومتى اراد غنيهم من وصلـــه | نـيـلاً تعاظـم نخـــوة ودلالا |
| ذاق الحياة بقربه فهمى علـى | اوصاله مـــــاء' الحياة زلالا |
| يعطى الفقير سماحة وسجاحة | ويرى الغني عقارباً وصــــلالا |
| واذا سقيم' الفقر اعضل داؤه | قالت مقاصده به إيـلالا (115) |

114) في نسخة ص ( يروا ) ـ وفوقها علامة التردد ( كذا ) .

115) من بحر الكامل .

# فـــصـــل

26 ـ ومنهم المختبر الممتحن في بدنه اشد المحن المنقبض عن اكتساب المال المستتر باللباس الحسن ونبذ الأسمال الذي بقي به ذمار الفضائل مستحيى **سليمان بن يحيى ، ويعرف بابن ستهم** وهو من قبيل بني محسن ، من فخذ بني توزين ، كانت كرامته كالفلق ، وحقيقته استغنى به افلاس وملق اصابته ـ رحمه الله ـ اكلة في وجهه ، فما عالج قط داءها ولا استعمل دواءها ، وقد قيل التصوف اصطبار واختبار

حدثني عنه عبد الكريم ابن ورشون ـ وكان طالباً معلماً يقرىء عنده الصبيان ـ ، قال كنت لا اصحح ما يروى عن الفقراء من الكرامات ، فلما صلينا الصبح يوماً مع الشيخ سليمان ابن ستهم ، قال لأصحابه فرقوا القمح للطحن ، واذبحوا ثوراً واصنعوا الطعام ، فان الأضياف واردون عليكم ؛ قال فنض الطعام عشيته وما جاء احد ، ثم نام الناس ، فقلت في نفسي لقد جن هذا الرجل حين اتعب الناس وافسد الطعام ، فبعد جزء من الليل سمعنا التكبير والتهليل فورد علينا جمع حجاج من المصامدة قاصدين زيارته والتوجه الى الحج فوجدوا الطعام حاضراً فأكلوا وباتوا ، فقضيت العجب من ذلك ، وصرت من ذلك الوقت اصدق بالكرامات

وحدثني بعض اصحابه قال سرنا معه عام الغزوة بالأندلس الى الجهاد ، فنزلنا بقصر الجواز (116) ننتظر الجفن لنجوز فيه ، فاتى فقير اسمر اللون ، عليه مرقعة ، وبيده ركوة ، فسلم على الشيخ سليمان وهو جالس على الرمل بساحل البحر ، فأعرض عنه الشيخ ، فقال له ياسيدي ، انا الذي كنت رفيقك في عرفة العام الأول وحين وادعتك اشتريت لي بدرهم تمراً ، قال

---

116) لعله يعني به قصر المجاز ، المعروف بقصر مصمودة على مقربة من سبتة

فتنكر له الشيخ وزاد اعراضا عنه فزجرناه واخرناه قال فقلت لــه في خلوة لعلك وهمت وما علمنا قط ان الشيخ توجهَ الى الحج فقال كذلك ظهر لكم والله لقد كان رفيقي في عرفة عام اول قال فقضيت العجب من ذلــك

وكان عندنا ببادس غلام فقير اسود اسمه ايرزيجي ويعرف ببوشعبان، وكان راتبا في رابطة الجن قال قعدت يوماً عند الرابطة غدوة ـ وكان قد نزل ضباب كثير جداً فخطر علي شخص لا اعرفه في اهل بادس فسلم علي وانصرف فبعد ايام وصلني فقير من عند الشيخ سليمان ابن ستهم فقال لي الشيخ يخصك بالسلام ويقول لك الرجل الذي خطر عليك غدوة الضباب وانت قاعد حذاء الرابطة فسلم عليك هو الخضر عليه رضى الله تعالى

ومات سليمان رحمه الله تعالى من تلك الأكلة التي كانت في وجهه وبقي بعده الشيخ زكرياء اخوه في زاويته قد تخلى عن البيع والشراء ، وكان اكبر سنا من سليمان وكان تاجرا في البز يقصد الأسواق

حدثني بعض خدامهم قال ضجر الشيخ زكرياء يوماً من كثـــرة انفاقه في الزاوية على الفقراء وتكلم في ذلك بكلام خشن فقال له الشيخ سليمان ان الفقراء هم ينفقون عليك فغضب وقال لا ينفق احد على احد قال فما اتت عليه ايام قلائل حتى ذهب ما كان بيده وكاد يفتضح من مطالبة المديانين له فتعرف الشيخ سليمان ذلك ، فقال له عد الى حالك ، والفقراء ينفقون عليك قال فعاد البسط عليه كما كان اول مرة ، فتيقن الشيخ بركاته

وفي مثله انشد

| | |
|---|---|
| هجر المواطن كي يفوز بخلوة | فراى بها انساً تالف سربـــــه |
| وصفت مشاربه ولذّ طعامُــــه | ومن المعارف سار محضا شربه 117) |
| جعل التغرب للتقرب وصلـــــه | لما تناهى في التداني قربــــه |

---

117) في الأصول ( مشربه ) والصواب ما اثبته .

| | |
|---|---|
| الف التذللَ دهره متستــــــراً | فجزاه بالحسنى الجميلة ربـــه |
| نعم الحليف لكل مجد باهـــر | ما انفك يخطبه العلاء وتربـــه |
| فهم المراد من الحياة فســـره | ام سار مرقده الصعيد وتربه |
| لم يدر حرباً غير قتل غواته (118) | وهوى يقود ، فذاك دأباً حربه (119) |

# فـــصــــل

27 ـ ومنهم الحصيف العقدة والمريرة المتساوي العلانيـة والسريرة ، مَن لم يزل طول حياته يتلو محكماً ووحْياً ، ويملأ من انواع الأوراد طرفاً ونحياً الظاهر الكرامات بعد الممات وفي المحيا الشيخ **زكرياء بن يحيى** هو من قبيلة بقوية ومن فخذ بني ورجين ومنزله في خندق متوعـر يعرف بتيقيت ، ويعرف ذلك الخندق حيث ينتهي الى البحر بخندق الجواري ، كان رحمه الله تعالى ، صادق اللهجة ، مشرقَ البهجة ، مستمراً على الانقطاع والاعتزال ، صاحب اكثار من الخيرات واجزال ، وقد قيل ان التصوف اعتزال واجزال

حدثني الشيخ الصالح المسن **احمد ابن سوسان** ، قال اغضبـتْه يوماً زوجته وضيقت عليه ولجت في امر كرهه ، فزج في الهواء فاراً منهـــا وتركها تنظر الى اثره

وحدثني يحيى بن زكرياء المذكور قال كان الحاج العباس القائم بالريف بالدعوة الفاطمية عندنا قبل حجه يقرأ وياوى الى المسجد ، قـــال فخطر علي يحيى يوماً وانا صبي صغير وقد قعدت الى جانبه ، فدعاني وقال لي لا تقعد مع ذلك الطالب بعد هذا فانه فاسد العقل ، ولا تسمع منه ما يلقيه اليك ، وانا القائل المقتفي اثره

118) في الأصول ( غلامه ) ولعل الأنسب ( غواته )

119) من بحر الكامل .

بز الجياد مغابنا ورعـــــالا وسمت به اشواقه فتعالـــــى
جعل النجوم جواهراً لحبيبـــه ( ومن ) الهواء لأخمصيه نعالا
ولربما طويت لــه البيدا التي ضمت رئالا بدناً وسعـــالا
تلقاه في كل المواطن مخلصــا لله فيما يرتضي افعـــالا (120)

# فـــصـــل

28 ـ ومنهم ذو الأخلاق الحسان الناهض في مقامات الاســـلام والايمان والاحسان الشيخ **احمد ابن سوسان** كان رحمه الله تعالى كثير التجمل ، وهو من قبيل ورجين ، ومن سكان بوسكور ، بينه وبين المزمة اربعة فراسخ ، وله في التحقيق بصارة ، وربما احترف مرة بالخياطة وربما بالقصارة وقد قيل ان التصوف استشراف واحتراف

حدثني عبد الله بن محمد بن موسى الزهيلي قال حدثني اخي يوسف وهو اكبر سنا مني ، قال قصدنا في صبيان من البربر عرسا ببوسكور فمررنا بساحل البحر فوجدنا رجلا يضرب اثواباً على حجر فعبث به اولئك الصبيان ، وصاروا يقذفونه بالماء والرمل وهو ساكت فلما انصرفنا قال اكبرنا ذلك الشيخ احمد ابن سوسان قال يوسف وكنـــت اسمع ابي يعظمه ، ويذكره بالصلاح ، فرجعت اليه واعتذرت له بما فعل الصبيان، فقال لا بأس عليك ، الصبا شعبة من الجنون قال ثم لاعبنا صبيان بوسكور الحجر ، فجرح اصحابي كلهم ، وسلمت انا من بينهم ، واما الصبي الـــذي كان يقذفه فثقل جرحه ومات

120) من بحر الكامل .

وانشدت في معناه

هانت عليه نفسه فأهانهــــا كي يستفيد من الحظوظ رهانهــا
ان قام ذو غر يجرر ذيلـــه فخراً بنفس كان ذاك مهانهــا
طرح التصنع والرياء فلم يدع للنفس شيئاً يستديم دهانهــا
ترك العقول حبيسة بعقالهـــا فقدت لفقد نقودها أذهانهــا
واعتز بالحظ الجزيل من التقى يبدي لزاهي نفسه ايهانها (121)

## فـــصـــل

29 ـ ومنهم الغادي في النسك الرائح المستنشق من الكرامــات اعبق الروائح المعاشر لكل زاهد وسائح هاجر كل مومق ومألوف ، معظم خيام عبادته والحى خلوف ، الشيخ الحاج **يحيى بن مخلوف** ، من فخد بنــي بني يفراسن من قبيل بقوية حج وغزا ومد من باعه الورى (122) ونــص بالكرامات ما اليه اعترى ، فشاهد جل العجائب عيانا واحتقب من الفضائل جمانا وعقيانا ، راقب مطالع الاسناد وجوهاً واعيانا وقد قيل ان التصوف احتقاب وارتقاب

ورأى جملة من المشايخ في بلاد الريف وفي المشرق وفي الأندلس

حدثني رحمه الله تعالى قال لما رجعت من مكة الى المدينة جئنا على طريق المشيان وكان لي رفيق ، فوردنا على بعض المياه فبتنا عليه ، فلما صلينا الصبح ، تزودنا وسرنا الى ان اعتدلت الشمس في كبد السماء ، فنظرت فرايت سواداً شبه طائر في الهواء قاصداً الينا ، فوقفت اناورفيقي ننظر اليه ،

121) من بحر الكامل

122) كذا في سائر النسخ ( الورى ) وكتب عليها في نسخة ص علامة التردد

فكلما قرب منا قرب من الأرض حتى وازانا في الهواء فراينا رجلا عجيبا محلوق الرأس له لحية عظيمة وعليه مسح من شعر ، وهو جالس في الهواء مربعاً يقرأ القرآن فسلم علينا فرددنا عليه فقال لنا اي وقت وردتم الماء فقلنا له عليه صلينا الصبح فقال وعليه اصلي انا الظهر ان شاء الله ثم خلفنا وسار في الهواء فوقفنا ننظر اليه حتى غاب عنا رضي الله تعالى عـنـه

وحدثني ايضاً قال صليت الظهر بمنزلي هذا ـ يعني المسجد الذي كنا فيه بمقربة من داره ـ قال فخرجت لأسوقَ شيئا من الديس في الجبـل الذي فوق داري المشرف على الوادي الهابط الى ابي سكور قال فرايت على اعلا الجبل شيئاً شبه نسر ، فلما قربت منه وجدت رجلا عليه ملحفة خلقة ، فلما احس بي طار في الهواء الى جهة الوادي

وحدثني ايضا قال جئت يوماً الى مسجدي هذا لأصلي المغرب فوجدت فيه رجلا مسافراً توسمت فيه الخير فلما صلينا قلت له قمْ بنا الى المنزل لنأكل شيئاً ، فقال سقه الى هنا ، فأتيته بما حضر ، فأكل ثم رفع يده فقلت له زد فقال هذا الشيء الذي اكلت ابقى عليه ثلاثة ايام ثم قال لي اني ارى بلادكم قليلة الماء ـ ولا ركوة عندي ـ ، فأتيته بقدح جديد عملت علاقته من ضفير العزف ، فلما صلينا العشاء الآخرة ، قلت له لولا شغل لي لبتُ معك قال لي وما شغلك ؟ فقلت له ان لي فداناً من قمح قد اضرني فيه الخنزير فأنا ابيت فيه في ديدبان صنعته اطرده منه فقال لي اقعد ، فانك لا تراه فيه ابدا ، فلم اعمل بقوله ، فمشيتُ الى الفدان فبت في ديدبان ، فما رايت للخنزير في ذلك الفدان تلك الليلة اثرا ؛ فلما اصبحت، جئت لأصلي معه الصبح فلم اجده ، ووجدته قد ترك القدح الذي سقته برسمه ، وما رايت الخنزير دخل في ذلك الفدان الى الآن ، فقلت : انه كان من الأولياء نفع الله به .

قلت وكرامات الحاج يحيى كثيرة جداً وانما قصدت بما ذكرته التنبيه على بعضها وفي نعمته أقول

وقف المحقق وقفة فبدت لـــه — صور المعارف في جمال بارع
نادى وقد طارت به اشواقـــه — يانفس بادر للسمو وســـارع
وردت به اوراده في سيـــره — ازكى مقاصد مورد ومشـــارع
ان ناله او غاله من حبـــه — سقم فليس الى سواه بضارع
ما انفك يفنى عن فناء فنائـــه — فيظل مصروعاً بهيأة صـــارع
فهو المنازل كل شوق قاتـــل — وهو المقاتل كل وجـــد دارع
جالت به انفاسه في معـــرك — بين اشتباك مهالك ومصـــارع
ان جاءه قرن يريد بـــرازه — قال اغتنم نفساً ، فلست مصارعي (123)

# فـــصـــل

30 - ومنهم الغائص في لجج الأفكار ، المسبح بالعشي والابكار ، ومقتني جوهر الأذكار المستمر على الأذكار الشيخ **بكار** وهو من اولاد علي بن حـُمـَّر المنتسبين الى قبيلة بقوية ومنزلة باسكرم ويعرف **ببكار ابن الحاج** ، كان - رحمه الله تعالى - ضعيف الحال ، مطرقاً لقلة الاهتبال ما بين الرجال ؛ بعيداً من الالحاح والتكفف ملازما للصون والتعفف ، وقد قيل ان التصوف تعفف لا تكلف .

حدثني ابي اسماعيل بن احمد - رحمه الله تعالى - ، قال لي بت ليلة بمنزل اسكرم عند رجل من اصحابي يعرف بسليمان بن ادريس ، فاصابني مرض شديد ، فاصبحت في غاية من الضعف ، فارتحلت قاصداً لبيتي ببادس ، فقلت في الطريق انما يصلح حالي ويزيل مرضي ، مرق فلوس لو شربته ، فقلت في نفسي في هذا جاء المثل طلب الشهوات في الفلـوات قـال

---

123) من بحر الكامل .

فمررت بدار الشيخ بكار - وهو على الطريق - لأزوره ، فلما بلغت الى الباب ناديتُه باسمه فخرج الي بآنية في يده فيها مرق فلوس فقال لي اشرب هذا ، فانه مما يوافقك ، من غير ان يتعرف مَن انا عند ندائي باسمه ، فقضيت العجب مما شاهدته منه ، نفع الله به آمين

وانشدت في مثله

وحقيقة التقوى الوقوف ببابه متبرئاً في الكون من اسبابه
مستمطراً من لطفه ونواله ما لا يطيق الجو حمل ربابه
واذا استكنَّ اخو النعيم بقنتة قام الفضاء له مقام فنائه
فهناك يظفر بالوصال وطيبه وينال ما يرجوه من احبابه (124)

## فصل

31 - ومنهم العالم الفذ الذي مضى سهم اصابته في المشكلات ونفذ ، واضاء مصباح هدايته واتقد واصاب الحق فيما اعتمد واعتقد وتبين بهرج ما زيف مما انتقد الشيخ **يحيى بن الحاج الجعوني** من قبيلة بني يطفت ، بينها وبين بادس مسيرة يوم كان رحمه الله تعالى لدور الكلام منظماً ولحق الشريعة معظماً بين مهاوي الشبه وفرق بين ما فيه من المعضلات شبه وقد قيل ان التصوف اعتقاد وانتقاد

حدثني خديمه عبد الله ابن البيدق ، قال قدم من مدينة سبتة رجل من اصحابه يعرف بابن العجوز - ومعه ولد صغير - ، فلما صلينا العشاء الآخرة ، قال لي اصعد انت والصبي على السرير فناما ، وقعد هو والشيخ فقال له الشيخ الوارد ما معنى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (125) فقال له الفقيه يحيى حتى تعلم معاني الفساد ، وحينئذ نتكلم في المسالة ، فقال له الفساد كذا وكذا فابطل قوله ما زالا يتكلمان في الفساد حتى

124) من بحر الكامل

125) الآية : 22 سورة الأنبياء .

طلع الفجر فصلينا الصبح وانصرف الشيخ الى بلده - وهو الحوزات - فقلت له ياسيدي لقد اطلت مع الشيخ في الفساد فقال نعم لأنه جاء معترضاً لا مسترشداً

وسئل يوماً عن البخيل الذي ذكره الله تعالى في القرآن فقال هو الواقف على الحدود الذي لا توجد فيه سماحة اشارة بذلك الى ابطال قول مَن قال ان الذي يدفع الزكاة ليس ببخيل

ومن فضائله ان ابن اخيه قتل طالبا عربياً كان يسكن عنده فأمر بقتله وقال لقومه لا اسكن لكم بلداً حتى يقتل فقتل

ومن نظمي فيه

علمُ الكلام شعاره ولباسُه — والرشدُ في ظلم الهوى مقباسه
نور الهداية والهدى حـُبُس على — مَن زاره ياحبذا احباسُه
لاحت بطور الفضل نار علومه — نوراً به نال المنى قباسُه
فيه تطرز كل مجد افخر — وبه تنمنم زيه ولباسُه
يهدي ويردي ان تتابع عند من — يبغي التعلم نفعه او باسه (126)

## فصل

32 - ومنهم شيخ وقته في التصوف الباكي طول عمره على ما كان منه من التشوف السخي باثوابه ، التماس جزاء الله وثوابه المعتني عند سؤاله في تحسين جوابه ، الشيخ **احمد بن محمد بن الخضر** ، وهو جدي ، ونسبه خزرجي ، ينتهي الى قيس بن سعد بن عبادة ، كان رحمه الله كثير الصدقة على الفقراء ، ملاصقاً في افتقاره لبسيط العراء ، قليل الجدال والمراء ، وقد قيل ان التصوف صمت وسمت .

---

126) من بحر الكامل .

حدثتني عمتي زينب بنت جدي الفقيه احمد وكانت عجوز صدق راوية للأخبار قالت كان ابي يصوم النهار ويقوم الليل ويعلم كتاب الله تعالى فلا يجالس احدا ولا يخالط ويوم الخميس والجمعة يلازم منزله فلا يخرج الا الى الصلاة وهو كان الامام والخطيب ببادس بعد عمه الفقيه احمد بن محمد بن الخضر وكان وافقه في الاسم وكان تزوج الفقيه احمد بنت عمه ، وهي ام الفقيه حيون وابراهيم وماتت هذه وتزوج امي صفية بنت ستر ابن مسعود اليسفية فولدت له محمداً وانا ـ تقول زينب ـ واخي اسماعيل ، وهو كان الأصغر تركه ابي حين مات رضيعا ابن سنة وذلك سنة خمس عشرة وستمئة وكان ولد اسماعيل اخي سنة اربع عشرة والفقيه حيون هو اكبرنا وأليه انا ويليني ابراهيم وأليه انا ويليني محمد ويليه اسماعيل ، قالت وكان اذا خرج لقضاء ارب فوجد انساناً عرياناً كساه ثوباً من ثيابه وربما اعطى في اليوم الثوبين والثلاثة وربما قعد في بعض الأيام فيصنع الأبيات من الشعر يكتبها في كفه ثم يكررها ويبكي وكان لا يعمل شعرا الا في الزهد قالت وكان له اولياء يزورونه ليلا ونهاراً منهم الحاج سعيد المسطاسي وغيره وقد ذكرنا كيفية قدومه عليه ليلا ، وانه صنع له الطعام بنفسه فامتنع من اكله لانه كان له ثلاثون سنة لم يأكل الطعام ، قالت وكنا ليلة نائمين فقال لأمي ياصفية قرب الوقت فقالت له وما ذاك قال : رايت الساعة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، وابا بكر ـ رضي الله عنه ، وابو بكر يمشط راسي بمشط في يده ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصب الماء على راسي ، انما ذلك طهارتي من الدنيا ، قالت فأصبح متوضئاً وتوالى وصبه ، فمات دون الاسبوع من ليلة تلك الرؤيا

وفي حاله انشدت

| | |
|---|---|
| ما انفك يخلع مشفقاً اثوابه | يرجو من الله العظيم ثوابه |
| صابت يداه بما اقتفى من صيب | لما تيقن (127) رشده وصوابه |
| طالت اقامته بباب سؤاله | يدعو ويرغب ان يرد جوابه |

127) في الأصول ( لا تيقن ) ولعل الصواب ما اثبته ( لما تيقن ) .

رأياه خاتمُ رسله ورفيقُــه جعلت له من سندس أثوابـــه
فغدا ورضوان الجنان مفتـــح لما عدا لقدومه ابوابـه (128)

# فـــصـــل

33 ـ ومنهم الشامخ العلم ، الذي كان اشهر من نار على علم ذو التحقيق والتدقيق ونساج كل غزل رقيق متوقع الحِمام والمنون علامة القوم الذين لهم اجر غير ممنون الشيخ **عبدون بن يخلفتن بن علي البقويي** ، من بني يفراسن من قبيل بقوية واحد بني منتصر ، كان رحمه الله تعالـــى لطريق الآخرة سالكاً ، ولزمام الشهوات مالكاً ، وللتجافي عن الدنيا مصاحباً ، ولأذيال المجاهدة ساحباً صاحب ايراد واصدار ومسابقة الى الطاعـــة وبدار لم يزل في كافة الخيرات مفاوضاً ومهجته في ذات الله معاوضاً وقد قيل ان التصوف مفاوضة ومعاوضة

حدثني حفيده الشيخ عثمان بن داود ، قال كان مقام جدي عبدون طي الأرض ، وله في ذلك اخبار عجيبة قال وكان مقام ابي داود الطيران في الهواء ، قال ومات وسنه دون الثلاثين ، وخلفني صغيراً ، وكفلني جدي عبدون وكان شيخه الحاج حسون ، وشيخ الحاج حسون العمراني ، وشيخ العمراني ابو علي ابو شامة ، وشيخ ابي شامة احمد الرفاعي ، قلت وهذه نسبة بعيدة ، واظن الراوي غالطاً في ذلك فان الرفاعي كان معاصراً لأبي مدين والحاج حسون كان معاصراً لأبي داود ، وابو داود كان تلميذاً لأبي مدين فكيف يكون بين الحاج حسون والرفاعي شيخان ، فهذا غلـــط ، ولا بـــد (129)

---

128) من بحر الكامل

129) الجزم بانه غلط ربما لا يصح ، اذ كون الحاج حسون اخذ عمن كان معاصرا للرفاعي ، لا يمنع ان يكون اخذ عنه بواسطة او بواسطتين ، سيما وروايات المغاربــة عن المشارقة ، غالبا ما تكون بالسند النازل ـ اي بوسائط ، كما نجد ذلك عند ابن عبد البر وابن حزم وسواهما ممن لم يقدر لهم الرحيل الى المشرق .

حدثني عثمان بن داود قال حدثني بعض تلاميذ جدي انه بات عنده ليلة جماعة من الفقراء وكانت زاويته صغيرة لا تسع الا عشرة رجال ونحوها وكان الجمع قدر المئتين ، فأصابهم المطر فقال لهم عمران أمصول من تلامذة جدي وهو معه في الزاوية (130) فقال جدي لعمران قل لهم يدخلون الى هنا فناداهم عمران ادخلوا ، فقالوا تسعنا الزاوية ؟ فقال لهم عمران مَن لا يجد اين يقعد فليقعدْ في قلبي فقعدوا عن آخرهم

وحدثني عثمان المذكور قال لي بعض المحبين بات عندي جدك عبدون فذبحتُ له شاة من الغنم ، فمن الغد وجدها قد رجعت الى الغنم

قال المؤلف هذا الذكر الذي ذكر لا وجه له ، وهو شك وغلط ووهم ، والصحيح انه عوض غيرها مكانها فكانت غنمه كما كانت في العدد ، لم ينقص منها شيء فتوهم ذلك العامي انها رجعت بعينها

وحدثني عثمان المذكور قال سمعت جدتي زوج جدي عبدون تقول كنت اصنع الحزمة العظيمة من الحطب ، فيأتي الشيخ فيضعها على ظهر الأسد حتى الى المنزل قالت ثم صرت انا احتطب عليه وحدي

وقال المعلم عبدون ما يدخل علي احد الا عرفت باطنه وظاهره ولكن ما يمكن الا الستر

وفي وصفه اقتضبت

من صدقه ظهرت له الآيات وجرى فلمْ تلحق له غايات
حسن الصفات عن النجابة معرب ينْبي عن الغرّ الجياد شيات
والصبح لا يخفى اذا لاحت له عند امتداد دجنّة رايات
خرْقُ العوائد للولي مشاهد عند اللبيب له سنى وآيات

---

130) لعل هنا بترا فمقول عمران غير مذكور ـ كما لا يخفى وقد كتب في نسخة ص ـ علامة التردد على كلمة الزاوية .

فغناؤه في العالمين وجـــوده      ومماته فيهم غنى وحيـــــاة
مـَن كان يعشـق مالـه وبنيـنه      فجمالهم في قبره حيات (131)

## فـــصـــل

34 – ومنهم ذو المناقب الثاقبة والفضائل المعاقبة مـَن حبب اليه العسل في حياته فكان تولده في قبره من أصدق آياته ذو المكارم الشريفة والفضل الذي روى الجميع تعريفه والزهد الذي كان الورع نقيبه وعريفه الشيخ **ابو عبد الله البرانسي** من سكان حوز تارغا (132) كان رحمه الله للرشد واعياً وللتقوى مراعياً وفي سبيل مرضاة الله ساعياً وقد قيل ان التصوف رعي ووعي

حدثني عنه احمد بن يحيى الزهيلي قال قال لي ابو عبد الله البرانسي يجب للمبتديء ان لا يغتر بما يراه من الكرامات فقد يكون ذلك مكـــراً من الشيطان الرجيم

وحدثني عن نفسه قال ما خرجت قط من داري ليلا لقضاء حاجة حتى ارى على رأس عصاي شبه السراج يضيء لي الطريق كأنه قطعة من قوس قزح قال واصابني ليلة من الليالي جنابة فلم اجد في منزلي ماء فخرجت في جوف الليل الى عين ماء قريبة من المنزل وهي ما بين جرفين عميقين فلما سرت في الطريق تراءى لي ذلك النور فاستعذت بالله مـن ذلك فلما حصلت ازاء العين رأيت الجرفين قد تمايلا علي لينطبقا فعلمت ان ذلك من الشيطان يريد ان يخوفني لأرجع دون طهارة ، فقلت له ياشيطان افعل ما بدا لك ، والله لا ابرح حتى اغتسل فرجع الجرفان الى مكانهمـــا فاغتسلت وانصرفت وكان يحب في حياته العسل ، فأخبرني مـَن شاهد قبره بعد وفاته انه افرخت النحل في قبره

---

131) من بحر الكامل

132) مر انها قرية بشرقي تطوان . انظر ص 107 رقم 95 .

وفي ذلك ارتجز

| | |
|---|---|
| هامت به الأشياء حتى النحل | لو مازج الثرى لكان يحلـــو |
| او حلّ في ارض طواها محل | حط به للغيث فيها رحـــل |
| ولو سرى والليل تعس محـــل | عاد وذاك التعس منه سجل (133) |

# فـــصـــل

35 - ومنهم الغني بملابسة الناس عن الاشتهار التالي لكتاب الله عز وجل آناء الليل واطراف النهار المجتهد به في خلواته جاعل الغفلة عنه من اعظم هفواته المصطبر في اقامة العدل على مضض العذل المستمر على موالاة الجد والبذل الشيخ **اسماعيل الخزرجي** رتع في روض تعليم كتاب الله تعالى فاحمد وقد قيل ان التصوف تعليم وتسليم

ما زال - رحمه الله تعالى - طوال حياته لكتاب الله معلما وبالحكم الشرعي متكلماً متفقها في احكام الدين جاعلا الزهد في الدنيا له افضل خدين جبر على القضاء جبراً لم يجد عنه محيصا فزاد ذلك منه دينا تحقيقا وتمحيصا فامتنع من ترك تعليم الصبيان فقال ان ضيعت عيالي فأنا لما سواهم اضيع فظهر له في القضاء اعاجيب يطول شرحها ، وكان يلاطفه بعض الناس فيمتنع من قبول لطفهم ، واماّ الخاصمون وما يأتون به من الرشا ، فيطول ذكر ذلك على التفصيل شاهدت من كراماته ان والي البلاد اراد ان يشهـد له شهادة زور ، فامتنع من ذلك ، وكان اسلفه قبل ذلك بسنين خمسة عشر دينارا جهز بها بعض بناته ثم أقرأ اولاده القرآن سنة بالخمسة عشر دينارا ، وكتب له براءة بخلاصه من دينه فطلبه عند امتناعه من الشهادة بالخمسة عشـر دينارا فقال قد اقرأت اولادك بها فقال له لا اعلم ذلك ، فالتمس البراءة فلم يجدها ولم يمكنه احلافه ، فما وجد حيلة الا انه اخذ ثمانية دنانير سلفا

---

133) من بحر الرجز .

في شعير في ذمته ودفع الدراهم الى الظالم فصرها في طرف احزامه وقعد على البحر في ظل قارب لينفذ بعض اشغاله فمال عليه القارب فشدخه وانكسرت يده وحمل على اسوأ حال ودراهم' الشيخ ابي مصرورة" في احزامه فقاسى مشقة وتعطلت يده وبعد موته اتى ابنه الى الشيخ ابي وساق له الرسم الذي كان لأبيه بالخمسة عشر دينارا فمزقه وقال نحن نعلم' براءتك من ذلك الدين وان ذلك الشيخ قد ظلمك

وحدثني ابي اسماعيل بن احمد ـ رحمه الله ـ قال نمت يوماً نوم القائلة فرأيت ناراً تخرج من تحت قصرية مقلوبة في وسط الدار فانتبهت وقلت لأمك ما تحت تلك القصرية ؟ فقالت لحم اهدي له من عرس محمد بن جعفر وكان من اهل الغصْب والظلم قال فأمرت الخادم فقذفت به في الزقاق

وكان ـ رحمه الله ـ يحيي ما بين العشاءين قراءة وصلاة وتهجداً من آخر الليل واتاه شخص بجراب من لوز واربعة من الدجاج وآنية من سمن وشيء من البصل ـ مظهرا ان ذلك هدية له لغير سبب فامتنع من قبوله ورده وزجره ، فبعد صلاة الظهر اتاه به شخص له عنده دين بوثيقة من سكة قديمة غير السكة المتعامل بها حين المحاكمة فقال له ابي اذاً انما سقت لي ما سقت لأرد لك سكة الدين مثل سكة اليوم ثم حكم عليه بقيمة تلك السكة القديمة ذهباً لكونها معدومة ثم سأل رب الدين ان يحسن اليه ويترك له ما يستعين به ، ففعل فقال للغريم هذا الذي كلمته فيه فتركه لك في حق هديتك التي زعمت انك سقتها الي من غير سبب قد عاد عليك النفع من وجهتين من متاعك بقي لك تسعين به ومن كون ان صاحبَ الدين سمح لك بما ترك لك في حقي انصرف راشداً ، ولا تعد الى ان تستعين بالحق على الباطل ، فشكره الرجل وانصرف

ولما مرض مرضه الذي مات منه زاره جماعة من الصالحين فلما خرجوا من البيت ، اخذوا في الثناء عليه واعلنوا بثقل مرضه وانه لا يعيش في الغالب ، فسمعهم من وسط الدار بناته وقرابته ، فبكوا واطالوا العويل

ـ وانا قاعد معه ـ فقال لي قل لهن يسكتن ولا يطلن فان يومَ الأربعاء تنقضي الحاجة ويوم الخميس ينصرف كل واحد الى موضعه وكان ذلك يوم الاثنين ( قلت ) فلما كانت ليلة الأربعاء اخذ في النزع فلما اصبح أفاق فقال لي ناولني التراب اتيمم لأصلي صلاة الصبح فتيمم وصلى ، ثم غاب غيبة عظيمة قريبة فلما أفاق قال لي ناولني التراب اتيمم لأصلي الصبح فقلت له قد صليت فسكت ولم اسمعْ له كلاماً بعد فبقي غائبا فلما كان وقت الزوال فتح عينيه وقال اسندوني الى الحائط فأسندتُه فبعد ساعة رايت في وجهه اشراقاً وضياء فأضجعته وكان مستقبل القبلة فتمدد وتشهد ومات ـ رحمه الله تعالى ـ فأرادوا دفنه فلم يتمكن ذلك اليوم فدفناه يوم الخميس فكان الأمر كما ذكر وغسله المؤذن الصالح يوسف ، وكنت معه اصبُ عليه الماء فلما كشف عن وجهه راى له اشراقا وبهجة فقبل بين عينيه وبكى وقال له جزاك الله عن نفسك خيرا انت من الذين قال الله فيهم « وجوه يومئذ مسفرة (134) ضاحكة مستبشرة (135) » ثم قال لي غسلت جملة من الصالحين والفقهاء ، فما رايت احسن من وجه والدك ـ هذا الميت رحمه الله تعالى ـ لأن اول يوم مرض فيه اخرج من جيبه خرقة فوجد فيها ربعي درهم فاشترى بهما لأولاده زيتا وخضرة ، ومات ـ رحمه الله ـ في العشر الوسط من ذي الحجة عام خمسة وثمانين وستمئة

وفي بعض وصفه قلت

كتاب الله في الدنيا جمـــال ... وفي الأخرى شفيع في الخلاص

فحاملـــه لـــه منـــه دروع ... اذا خانت مضاعفة الدلاص (136)

وراكب هديه في الأمن غـــاد ... غنيا عن مراكبة القلاص (137)

---

134) كلمة ( مسفرة ) ساقطة في النسخ التي بين ايدينا ، والتلاوة على اثباتها

135) الآية 38 ـ سورة عبس

136) الدلاص الدرع اللينة

137) من بحر الوافر والقلاص جمع قلوص : الناقة الطويلة القوائـــم او الشابـــة .

# فصل

36 ــ ومنهم اللين العريكة ، المفترس من خلقه اوثر اريكة ، المصرف في الطاعة تسكينه وتحريكه من كان دعاؤه يخلص وينجي الشيخ **عمر الطنجي** ، دأب على الصلاة والصوم ، وتعليم كتاب الله وعمل الدوم ، مع اخلاق رضية ، ومحاسن رصينة واحوال مرضية ، وانكفاف عن السؤال ، وعفاف في جميع الأحوال وقد قيل ان التصوف عفاف وانكفاف

حدثني احمد بن يحيى الزهيلي عنه قال توجهت الى الأندلس غازيا فخرجت في سرية فدهمنا جيش عظيم ، فاسر من السرية اكثرها ، واستخفى بعضهم ، وكنت ممن استخفى في شطية (138) غير سائرة كانت رجلاي بارزة منها ، وما قدرت الا اني ماسور ، قال فكانت خيل المروم تمر بي فلا يراني احد منهم ، ووقف بالقرب مني جماعة ولهم كلاب ارسلوها تبحث ، فلقد اتت تلك الكلاب حتى لحست قدمي ، ثم انصرفت عني وسترني الله تعالى ، وكنت اقرأ سورة يَس ، فلما جنَّ الليل ، خرجت ومشيت ، فيسَّر الله تعالى علي في اللحوق ببلاد المسلمين

وفي معناه انشدت

| | |
|---|---|
| حفظ الاله يخص عبداً مخلصا | قد صار ظل مراده متقلصا |
| خلصت سرائره فخلصه التقى | لله ذلك مخلصا ومخلصا |
| اعظمْ بـه وبقدره وبشانـه | من قانت قصد الانابةَ مخلصا |
| ابدى لمنتقد وناقد بهرج | ذهباً نضاراً في الحقيقة مخلصا (139) |

---

138) لعله يعني قاربا حربيا .

139) من بحر الكامل .

# فصـــــل

37 - ومنهم العالم بمذهب اهل الكلام المنفرد منهم بحسن الانقياد والاستسلام المعدود من المحققين الاعلام الشيخ **موسى بن عبد السلام** هو ترجمان التحقيق ولسانه وبصر التصوف وانسانه اكثر كلامه في الفروق من اللوامح والطوالح والبروق وتبيين المخائل والمطامع واقماع الآذان والمسامع وقد قيل ان التصوف اقماع واسماع

قد لقي محمد اليستثني وشاهد بعض كراماته ولقي في ادائـــه فرض الحج ابن دقيق العيد فانتفع بعلمه وهو ابن اخت الحاج محمد بـن سليمان احد صلحاء مكناسة شاهدت منه اني جزت من سوق تفرسيت ومعي اثواب ابيعها فقعد الى جانبي فخطر لي ان ادفع له كنبوشا (140) برسم اهله فتردد عزمي في ذلك وقلت لم تتقدم لي عادة في ذلك معه ثـم وجدت ذلك يتأكد عندي فدفعت له الكنبوش وانصرف به وبعد حين جلست مع صهره عثمان بن داود فقال لي حدثني ابن عمي انه اراد ان يشتري كنبوشا لأهله ولم يكن عنده ثمن فقعد الى جانبك فهم ان يسألك بيع كنبوش له بالدين فاستحيا فدفعت الكنبوش له من غير مسألة وهذه كرامة لــه فانه لما احتاج الى الكنبوش اوجد الله اعطاءه له في قلبي في الحال

وفي معنى حاله اقتضبت

العلـم قـائـده ونعـم القائـد — وخواطـر الأسـرار منه رائـد
ظهرت له في المكرمات دلائـل — وبدت له عند الأنام فوائـــد
قـرنت الى اقـوالـه احوالـه — فسما لها في الوصف معنى زائد

---

140) ثوب تضعه النساء على رؤوسهن ويختلف استعمالها بين الحواضـــر والبوادي

فمناقب ومحامـد وضرائـب وفضائـل ومآثـر وعوائـد
ولهم بدار الخلد اكرمُ منـزل فيه تدور بهـم هناك ولائـد (141)

## فصـــل

38 - ومنهم المسدد بالبادية ، ذو الفضائل الظاهرة البادية الموفق في حكمه ، المتنزه عن الارتشاء وسكمه الشيخ **سليمان بن ابي بكر الجعوني** ، وهو ابن عم الفقيه يحيى صحبه وقرأ عليه وعلى الشيخ الزاهد ابي محمـد صالح الهسكوري فاقتفى في الفضل والدين سننهما وورث فضائلهما في الاقتصاد وسننهما وبلغ ما علم فأبلغ ، وقد قيل ان التصوف بلاغ وابلاغ

وكان من اصحاب ابي واودائه تحابّا في الله مباينين لمَن لج في جور الحكم واعتدائه ، حدثني يوماً بمجلسه في مسجد بالبادية قال كنت نائماً في هذا الموضع فرأيت شخصاً دخل علي بهذا المسجد فدفع الي وثيقـة مكتوبة في رق ، ففتحتها وقرأتها وفي آخرها شهادة شاهد من شهود بقوية ، معروف بشهادة الزور ، وقد مات الآن وما ينبغي ذكره قال وعمل تـلك الشهادة مكتوبة شبه علامة القاضي فقرأته فوجدته حبل جهنم - اعنـي المكتوب على الشهادة . قال فأفقتُ وقد دخل على المسجد رجل بوثيقة فأوقفني عليها ، فرايت شهادة الشاهد المذكور ، فبحثت على اصل المسألة فوجدتها باطلا والشهادة زور ! - عصمنا الله من ذلك

وفي معناه قلت

تسديده في الحكـم اوجب رعيـه فرأى بمهجته المغيب حاضـرا
وكذلك (الرؤيا) (142) ترى من بادها غصن الكرامة ذا ازاهر ناضـرا
ان عن زور او تردد زائـر لددا رايت له السداد محاضرا (143)

---

141) من بحر الكامل

142) هنا في سائر النسخ بياض مقدار كلمة ، وقد جعلنا كانها لفظة (الرؤيا) استظهارا

143) من بحر الكامل .

# فـــصـــل

39 ـ ومنهم اللابس بردة السواد.، المنقطع في مطارحة الغربة عن الزوار والعواد النائي للوطن الفسيح العطن جاعل انقطاعه في الروابط من افضل القربان الشيخ **ابن زيجا المعروف ببوشعبان** كان رحـمـه الله أسود القشرة ابيض العشرة وما زال الصبيان يتولعون به فيقولون له ارحم بوشعبان فيبتهج بذلك سرورا ولا يزال بسماعه مسروراً فلزمه ذلك الرسم وصار له كالوسم وقد قيل ان التصوف سرور وبرور

وقد حدثت عنه في رسم الشيخ سليمان ابن ستهم ، كيف راى الخضر حين خطر عليه عند رابطة الجن غدوة الضباب وحدثني ايضا عن نفسه قال اصابني مرض شديد برابطة الجن ببادس وانقطعت في الرابطة ولا احـد معي الى ان اشرفت على الموت وسقطت قواي فلما كان بعد جزء من الليل دخل علي شخص لا اعرفه ببادس وبيده غضارة فيها طعام فقـال لي كل ، فأشرت اليه اني لا اقدر ، فأطعمني بيده فانتعشت في الحال ناقهاً متصرفاً في مصالحي ، وانا اعرف جميع اهل بادس فلم اعرفه فيهم واقام برابطة الجن ببادس مدة ثم انتقل الى مدينة سبتة وتزوج وما زال يؤذن في مسجد الدقاقين وفي مسجد المحمل الذي في الدقاقين بأسفل زقـــاق السلطان ، على قدم التجريد ، حتى توفي رحمه الله تعالى

وفي مثله اقول

| | |
|---|---|
| الليل جلده ونور النسك فـــي | اسراره مثل الصباح المسفـر |
| خـَلق" وخـُلق" جـُمـِّعا من شخصه | في طينة المسك العتيق الأذفـر |
| تأوى اليه الوحش في خلواتــه | بكناس زهد لا بظبي اعفــر |
| مهما انم بذمة دامت علـــى | مر الزمان وكره لم تخفـر (144) |

144) من بحر الكامل .

# فصل

40 ـ ومنهم التقي السني الزاهد الورع السني المحس بعبادته كل معرس ومقيل الحاكم على غيره بالتخفيف وعلى نفسه بالتثقيل الذي عبادته أعز مقيل الشيخ **ابو عقيل** واسمه **عبد الرزاق بن عبد الواحد بن الحاج ابراهيم بن عيسى بن ابي داود** تكنى بولد من ابنائه اسمه عقيل ورث الفضائل من جهوده واقفا عند رسم الشرع وحدوده متبرعا بالجود وقت عدم مدوده وقد قيل ان التصوف تبرع" وتشرع

حدثني عنه خديمه وتربه وخدينه ولزيمه الشيخ الصالح يحيى ابن علي الخصاصي قال بت ليلة عند بعض بطوية فصنع لنا رب المنزل طعاماً فلما وضع بين يدي ابي عقيل امتنع ان يأكل منه وقال ارفعوه فاكلوه (145) غيري فخلوت به فقلت له لأي شيء لم تأكل ؟ فقال ياأخي يحيى لما وضعت القصعة بين يدي رايتها كلها تنغشي دوداً فعفتها فسألت رب المنزل وكان صالح الحال ، ما في كسبه شبهة عن الشاة التي ذبح لنا فقال هي من غنمي ، فقلت له قد قال ابو عقيل كذا وكذا فسأل عن المسألة فوجدها ليست له وانما كانت وديعة عنده لغيره فذبحها عن غلط

قال يحيى ابو علي وكنت اتهجد معه في شهر رمضان في المسجد ، ذلك فأشار علي فمما فهمت ان ذلك رجال صالحون طيارون في الهواء ينزلون على سقف المسجد للاستراحة

وانشدت في مقتضى حاله

بحر المعارف قد طفت" من فوقه درر تروق الناظر المتوسما
جذلان يلقى كل طالب حاجة مستبشرا بلقائه مستبسما

---

145) اي اطعموه غيري .

طابت له اوقاته فتجمعـــــت جمعاً وصارت للمواسم موسما
ولأنسه بالطور آنس نـــاره نورا على اهل السعادة قسما (146)

# فـــصـــل

41 ـ ومنهم المعمور الأوقات المتصرف في لبانات ذوي الفاقات الحريص على انالة الارفاقات الورع في مكاسبه المشهود له بصيـــب مناصبه المقتفي آثار السلف المتكلف سدائد الكلف المخلص بدعائه من اشفى على التلف ، الشيخ **الحاج ابو يعقوب** ، واسمه **يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلي الشهير بابن الغماز** ، الف العبادة فتألف به شملها ، وتكلف المؤن الشرعية فهان عليه حملها وقد قيل ان التصوف تكلف وتالف

كان ابي ـ رحمه الله ـ يقرأ الجلاب ويحضر معنا ابو يعقوب ، فلما دخل رمضان اعتزل عنا جانباً بحيث يسمع كل ما يلقيه الشيخ ، ومن شأنه ان لا يتكلم في رمضان ، وانه اذا صلى المغرب اقام في المسجد يتركع حتى يصل الاشفاع فلما كان يوم عيد الفطر تأخر ابي عن البروز الى المصلى لشيء اصابه في رجله ، فلما رجعت من المصلى الى دار ابي ، لقيت ابا يعقوب في دار ابي خارجاً من عنده فدخلت على ابي فقال لي ان هذا الرجل لَصالح ـ يعني ابا يعقوب ـ ، فانه اخبرني الآن بشيء يتردد في نفسي في هذا الشهر ـ يعني شهر رمضان المعظم ـ لأني كنت اراه يقيم في الجامع من المغرب الى انقضاء الاشفاع فقلت في نفسي هذا الرجل لا يعمل بالسنة من تأخيره الفطر فأتاني الساعة وقال لي كنت ارى شخصاً ممن يشار اليه في العلم والفضل ، يقول لي لِم لا تعجل الفطر في رمضان ، فان ذلك هو السنـة ، فأقول له لا اخرج من منزلي عند سماع المؤذن حتى افطر ، قال ابي فقلت

146) من بحر الكامل .

له: يايوسف انا الذي كنت اعترض عليك في نفسي فقال لي وانت الذي رايتك تقول لي ذلك

وحدثني عن نفسه قال رايت الخضر بالرابطة مرة ورأيته مرة اخرى في جامع بادس وكنت جالساً مع الشيخ محمد ابن الصبان ولما مر بي لم اقدر على الحركة ولا على الكلام حتى خرج من الجامع وقد ذكرت الحكاية في رسم محمد ابن الصبان

وانشدت في حاله

الف العبادة فاستلذ وصالها ... يبغي الفضائل فاستتم خصالها
لاقى من الأبطال في ميدانها ... اسداً تهاب الأسد فيه نصالها
القى عليه من التقى فضفاضة ... فلّت سهام (147) وطانها ونصالها
اوقاته معمورة بتلاوة ... آناءها أبكارها آصالها
لله من لزم الارادة مجملا ... تحصيلها مستكملا ايصالها
اوصى بارث مقامه ومقاله ... لذوي الرياضة عندما اوصى لها
كانت ذوات المكرمات لفقده ... قطعا تألف محسنا اوصالها (148)

## فصل

42 - ومنهم المعقل البارع الذي لا يطال من ليس في الانجاز والكرامات بطال ، ذو (149) المزن الصيب والعارض الهطال المتصدي لكل شبهة بالتزييف والابطال الشيخ **ابراهيم البطال** هو من قبيلة كبدانة من

---

147) في النسخ التي بين ايدينا ( حمام ) ولعل الصواب ما اثبته ( سهام ) وكتب في نسخة ص على كلمة ( حمام ) علامة التردد

148) من بحر الكامل

149) في الأصول ( ذى ) ولعل الصواب ما اثبته .

حوز وادي ملوية ولم يزل مترددا في بلاد القلاع من جهة مليلية وكدية غصاصة مظهراً من العجائب ما سارت به القلاص والنجائب اخذ من العبادة بأوفر نصيب مزجا بإيثاره بؤس كل يوم عصيب ، مع سهم في الفراسة لا يزال جدّ مصيب وقد قيل ان التصوف تفريج وتدريج

حدثني عنه عثمان بن داود قال حدثني عبد الله بن عبد الله بن يعقوب الويكدني البطيوي قال حدثني الشيخ ابراهيم البطال عن نفسه قال مررت في بعض الأيام بازغران وريغ وهي مفازة عظيمة ما بين مليلية وكبدانة ، قال فجذبت سدرة عظيمة طرف ملحفتي فقلت لها اظنك تريدين ان ابيت عندك الليلة والله لا فارقتك فنزلت تحتها ولما كان العشي وجدت مخلاة دابتي مملوءة شعيراً فعلفتها عليها وقريباً من الغروب وجدت كوزاً مملوءاً ماءً فتوضأت منه ولما صليت المغرب وجدت قصعة فيها طعام فأكلت وشربت وبت ثمة ولما صليت الصبح انصرفت

قال المؤلف وكانت دابته رمكة وكانت مشهورة عند الناس ما توجهت قط في حاجة الا قضاها الله وتلك المفازة التي بات بها هي مخوفة جداً من السباع والعدو البحري واللصوص فلا يكاد يجوزها الا الجمع الكثير

قال عثمان وكانت زوجته ببلاد كبدانة وبها كان يسكن وله منها بنت تزوجها رجل من بني يزناسن وبينهما مسافة نصف يوم فخرجت بنته مع زوجها الى الفدان وهو يحصد الزرع وهي تلقط خلفه ، فوقعت بينهما مشاجرة كأن الزوج هو الظالم لها ثم ضربها فاستغاثت بأبيها فسمعها من منزله ، فأتاها من فوره فقال لها ما شأنك ؟ فذكرت له ظلم زوجها لها وضربه اياها فأنكر الزوج ما ذكرته وقال هي كانت ظالمة فقال الشيخ اهلك الله الظالم منكما قال فنهشته افعى في الوقت خرّ بها ميتا ، قال فانصرف الشيخ راجعاً الى مكانه .

قال عثمان وحدثني الحاج احمد ـ وكان رجلا صالحاً من تلاميذ جدي المعلم عبدون قال لما مشيت الى الحج تهت في بعض الصحاري فرايت شبه فارس مقبل الي من بعيد فلما وصل الي كان ابراهيم البطال ، وقد ركب على عصاه كما يفعل الصبيان فسلم علي وقال يااحمد تهت عن الطريق وقلت نعم فأرشدني الى الطريق وانصرف

وحدثني عثمان المذكور قال ابراهيم البطال ـ وقد رأى ذئباً ـ ان الذئب للرجل شفيق فعجب الحاضرون من قوله فقال لا تعجبوا فاني شاهدت منه ما ذكرته عنه اني كنت يوماً في فلاة من الأرض وقد اصابني عطش شديد فرايت ذئباً يبحث بأظفاره في مكان قريب مني فوصلت اليه فوجدته قد كشف عن ماء فشربت منه

وفي حاله انشدت

| | |
|---|---|
| حسن التوكل في القفار اناله | حالا بها قد سره ما ناله |
| جعل السبيل له المهيمن في الفلا | سببا يخفف في الخلاص مقاله |
| من شاهد الحق المبين فزاده | اجلاله عزاً فذاك عقاله (150) |

## فصل

43 ـ ومنهم المتعبد خشية الوعيد ذو الحظ الأثير والسبيل (151) السعيد **احمد بن يحيى ابن سعيد** ارقه الاجتهاد واحرقه الاجهاد وقد قيل ان التصوف حرق وارق

حدثني عن نفسه قال كنت اسمع محمد ابن الصبان يقول قبلة بادس مائلة الى المغرب ، فقعدت يوماً انتظر صلاة الصبح ففكرت في نفسي في شأن القبلة ، فحركني رجل الى جانبي ، فرفعت راسي فأشار بيده وقال لي

---

150) من بحر الكامل

151) في الأصول ( السبل ) .

القبلة هكذا قال فنظرت فرايت الكعبة قال فطلبت الرجل فلم اجـده قلت وما زلت اراه هو والشيخ محمد ابن الصبان في حال الصلاة ينحرفان الى المشرق

وحدثني احمد المذكور عن نفسه قال كنت ليلة اتفكر في هيـــأة الأرض وعلى اي شيء استقرت وتردد ذلك في نفسي ، فنمت فرايتُ العوالم كلها بارزة الى العرش وما حوى وهو على شيء مثل الشعرة برقته وخفائه ، ثم نظرت الى تلك الشعرة فرأيتها على غير شيء فتحيرت وسمعت قائلا يقول لي « انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني » (152) الآية وسمعت جواهر العالم على انفراد تردد هذه الآية

وانشدت في وصفه

ظهرتْ مقاصده بنيل مـــراده … بعد امتداد جهاده وطـــراده
شهدتْ شواهد حاله بوصوله … وبصدق رائده وحسن مـــراده
شرطْ الولايـــة واردات تجتلى … من مخلص والى اقتنا اوراده
فانظر الى مـن كان فيها محسنـا … في صدره عنها وفي ايـــراده
فهو الخليق بها ووارث فضلها … والمستغلُّ بها اقتضاء مـراده
ان الطريق المرتضى لذوي التقى … فيه الهدى وقف على افـــرادد
رفضوا نعيماً في الوجود تنزهاً … وسراهم (153) في غيره وخواده (154)

# فـــصـــل

44 - ومنهم المشتهر باجابة الدعاء والفضل المباغت لكل خاطب بغي بالعضل المطفيء جذوة المخالفَ ، والملحق كل طاغ بالمتألف ، المنذر

152) الآية 14 - سورة طه
153) في الأصول ( وشره )
154) من بحر الكامل .

قبل الايقاع بالتعريف ، الشيخ الصالح **محمد الشريف** وهو **محمد بن عبد الله الحسني** شيخه ابو يحيى آجروم شيخ وقته حالا واخلاصا وكرامات وزهداً وورعا ومقامات فنال منه مفاتيح البركة الخاصة والمشتركة فانفصل عن عدم العاهب وقد قيل ان التصوف اتصال وانفصال

وولد محمد الشريف عندنا ببادس لأن عبد الله الشريف كان اتى من الهبطية (155) واستقر ببادس يعلم كتاب الله تعالى ،ولما مات عبد الله الشريف انتقل ولده الى حوز الشيخ ابي يحيى فانتفع به ولما مات الشيخ اعطاه عصاه فصار يتصرف بها في قضاء الحوائج فظهرت له بركة عظيمة ، حدث عنه جماعة يكثر عددهم وتسميتهم انه وقعت فتنة بين بني وانجن (*) وبين بني عيسى ، وهم من قبيل ورغة ، فغصب بنو عيسى امرأة من بني وانجن فتوجه فيها ابو عبد الله الشريف فوعدوه بردها فانصرف على ثقة من ذلك ثم بدا لهم فأمسكوها ثماني عشرة ليلة فقيل له في ذلك فقال كل ليلة امسكوها فيها بقتيل منهم قال فقصدهم بنو وانجن في عدد قليل وبنو عيسى في عدد كثير فقتل منهم بنو وانجن ثمانية عشر (156) رجلا فصح ما اخبره به

وشاهدت منه ان رجلا سوقيا يعرف بابن تافيلالت من سكان اصبات ومن حوز مرنيسة (تزوج) (157) من سكان العنصر الكائن بحجر تفزا وكانت الزوجة صغيرة فسكن بها مع ابويها فكان يصدر منها نشز وسوء عشرة لزوجها فظن ان ابويها الحاملان على ذلك فهرب بها عنهما ليلا واستقرّ بجبل يقال له بويرمان فوجد ابوا الزوجة عليها وجداً شديداً وما وجدا حيلة الا انهما مشيا الى ابي عبد الله الشريف ، ورغبا منه ان يتوجه الى زوج بنتهما ويشفع عنده ليردّ البنت اليهما على وجه الزيارة ويضمن له عنهما ردها اليه ، فتوجه الشريف الى الزوج وذكر له ما اراده والدا الزوجة

---

155) لعله يعني جبال الهبط

*) لعلها محرفة عن ونجل ، وبنو ونجل قبيلة معروفة بحوز ورغة ( مطبعة )

156) في نسخة ص ( ثماني )

157) سقطت كلمة ( تزوج ) في سائر النسخ ، والمعنى يقتضيها .

فقال ياسيدي انما يفعلان هذا مكرا وخديعة فاذا تحصلت البنت عندهما منعاها وخفرا عهدك فقال للزوج انا ضامن ردها اليك فأتى بالبنت الى ابويها فأقامت عندهما مدة وكنت ربطت دابتي في بيت ابوي البنت واتفقد ذلك المنزل مرات في النهار من اجل السقي والعلف فعرفت ظاهر القصة وباطنها فبعد اشهر وجه الزوج الى والد الزوجة بردها الى بيتها فأبى والدها من ردها وقال انما كنت تزوجتها هنا فهربت بها ليلا وهي الآن قد رجعت الى حيث كانت فان كان لك غرض فيها فاسكنْ معها هنا فمشى الزوج الى ابي عبد الله الشريف واخبره بما صدر من صهره وطلبه بما ضمن له فأتى ابو عبد الله الشريف الى المدشر الذي فيه الزوجة وابواها - وانا حاضر - فقعد معنا في المجلس ووجهنا الى والد الصبية وقلنا له رد الصبية الى زوجها ، فقال لنا لا حكم لي في ذلك ، مروها فلترجع الى بيتها فجاءت امها واغلظت الكلام وحضرت الصبية فنفرت وبكت واظهرت الكراهية وذلك كله عن راي ابويها فما زال الشريف يلاطف اباها فما وجد فيه شيئا يرجا خيره ، فقال له غدرتني يارجل ، فلا حول ولا قوة الا بالله فانصرف الشريف مغيرا ، فقال من حضر من الناس وهذا الرجل لا يجد سلامة لتغيير خاطر الشريف

قال المؤلف فبعد ايام قليلة ، تفقدت دابتي في صدر النهار ، فوجدت والد الزوجة قاعداً في وسط بيته وفيه اثر مرض ابتدأه ، وكان اسمه الحسن ، فقلت له يا ابا علي ما شأنك ؟ فقال ما ادري ؟ غسلت الساعة رأسي في العنصر وانا ما اجد الآن مفصلا صحيحاً فخرجت من عنده وقلت لمن وجدت في المسجد من اصحابنا قد اراد الله اخذَ حق الشريف ، فاني رايت الحسن والد الصبية المانع لها قد ابتداه المرض ، فما مرَّ دون الأسبوع حتى مات الرجل وكان فقيراً يتعيش بالبناء ، وله عيال فحضرت جنازته وبعد دفنه طلب المؤذن الصدقة لأولاده ، فتصدق الناس عليهم بما تيسر من الزرع ، واتى الزوج الى زوجته فطاوعته ورجعتْ معه الى بيتها ببويرمان ووفت ذمة الشريف بما ضمنه من رجوع الزوجة الى زوجها ، والقدرة لله يفعل ما اراد .

وانشدت

ورث التصرف من ولي مرتضى فيما قضاه من الحقوق وما اقتضى
شهرت يداه على العنيد لوامعـا ما زال صارمها الشهير المنتضى
هو الغياث لدفع كل ملمـة نابت فنعم المستغاث المرتضى
سعد الذي فهم المعاني موضحـا منها دليل المقتضي والمقتضى
قد سره من حاله في حالـه ما ناله لما احب وما ارتضى (158)

## فصـــل

45 ـ ومنهم المقلع عن الاقتراف المجدب بعد الاتراف المتخلي عن الكسب والاحتراف الشيخ الحاج **يحيى بن حسون** بادسي المنشأ والمولد واري زناد العبادة والمقصد الباكي على ما منه فرط والمتلافي لما فيه فرط قارع سن ندمه على ما جالت فيه خطى قدمه حتى اعيا وافرط ، كان من شبان بلده ومترفيها الذي لم يفارق فيها ترفيها فعنّ له نور الحق وسراجُه وتهيأ الجامه للاجتهاد في الجهاد الأعظم واسراجُه فاستقرّ بعد الجماح والشماس بزاوية الشيخ شماس ، فانخلع من الوجد الى الفقر واقلع عن الراحة الى العقر وقد قيل ان التصوف اقلاع وانخلاع

حدثني ـ رحمه الله ـ قال كنت وقفت على كتاب الشيخ الولـي الصالح علي بن محمد المراكشي نزيل بادس في عشر الأربعين وستمئـة والمتوفى بها المسمى كتاب « مناقب الأولياء وصفة سلوك الأصفياء » ، ورايت ما ذكر فيه عن سيدي يوسف الأقصوري من انه رآه يمشي على الماء قال فحملني ذلك على الوصول الى زاويته بالأقصور وزيارة قبره قـال فوصلت الى زاويته ـ وهي بأعلى صعيد النيل ـ فزرت ثم انصرفت وسألت

---

158) من بحر الكامل .

عن وارث مقامه فقيل لي الشيخ شماس وقصدته في زاويته وهي في بلد آخر من الأقصور فرايت شيخا اسود مكفوف البصر فأقمت عنده مع الفقراء المنقطعين في زاويته فشاهدت له كرامات وحكى لي عنه اصحابه منها جملة يطول ذكرها قال الحاج يحيى فحدثني بعض اصحابه عنه قال كنا معه جالسين في هذه الزاوية فورد علينا رجل صالح فقيه من المصامدة فلما حان وقت صلاة العصر قال الشيخ شماس للمؤذن أقم الصلاة على الوارد - يعني الفقيه المصمودي - فقال ياسيدي قدم غيري فاني لا اصلي بأحد فقال علي المشي الى مكة - على مذهب مالك - ما يصلي بنا احد الا انت خرجت من بلادك واعتقدت ان لا تصلي بأحد هذا عقد لا يلزم فانه قد تعين عليك الفرض من اجل فقهك وقراءتك فتقدم وصلى بنا ثم قال لنا ان هذا الشيخ صاحب كرامات ومكاشفة ولقد اخبرني بشيء اعتدته لم يطلع عليه الا الله تعالى

قال الحاج يحيى ولقيت مع الشيخ شماس اكابر من اصحاب الشيخ يوسف الأقصوري منهم خبير ابن البيدقي واحمد ابن الخطيب خطيب منية ابن الخطيب وابو الحسن الأفواهي وغيرهم وكان ابن الخطيب قد خرج عن مال جسيم وانفقه على الفقراء

قال المؤلف وحدثني الحاج احمد بن محمد بن عبد الله الزهيلي قال دخلت زاوية الشيخ شماس بعد رجوع الحاج يحيى بن حسون منها الى بادس ، قال فسألني اصحاب الشيخ عن الحاج يحيى فعرفتهم انه رجع الى بادس ، وان عمه زوجه ابنته وانه يتجر في البز فعجبوا من ذلك ، وقالوا ما كان في هذه الزاوية اكثر منه مجاهدة ولا انقطاعاً ولا تقشفا

وحدثني الحاج يحيى بن حسون قال كان للشيخ شماس بنت قد زوجها وصنع لها شورة اعانه بها بعض المحبين وكانت في غرفة لها طاق الى السطح فأتى سارق ليلة الى الطاق فدخل منها وصار يأخذ الشورة من الغرفة ويجعلها رزما قدر ما يخرج من الطاق فكوشف الشيخ شماس به - وهو مكفوف البصر - ، فأتى الى السطح الذي فوقه الطاق ووقف مستندا

الى الحائط فكلما اخرج السارق رزمة ورمى بها من الطاق فتحصلت على السطح اخذها الشيخ شماس وحازها الى جهته فلما لم يبق شيء وخرج السارق ، وجد الشيخ قد احرز متاعه ثم قال له سبقناك يامحارب الى حوز متاعنا فقبل السارق يده وقال له اتوب الى الله تعالى فتاب بين يديه وانصرف

وحدثني الحاج يحيى قال قال لي الشيخ شماس كان معنا في زاوية الشيخ يوسف فقير يكثر الصياح بمحضر الشيخ والفقراء وكان ذلك حالا يأخذه لا يستطيع دفعه وقال لنا الشيخ اخرجوا الى سياحة وليعتبر كل واحد منكم في سياحته بما يشاهده من قليل وكثير قال فكانت سياحة ذلك الفقير الذي كان يكثر الصياح على ساحل النيل - صاعداً الى اعلاه قال فعند خروجه نظر الى اتساع الوادي وانبساط مائه وسكونه فاعتبر في ذلك ساعة ثم استمر على سياحته الى اعلا النيل فانتهى الى مضيق الوادي فوقف عليه فشاهد انزعاجه وسرعة حركته وشدة هديره من اجل ضيقه ، فاعتبر في ذلك ، ثم كرّ راجعا ، فلما دخل على الشيخ سأله عما شاهده في سياحته فقال له ما شاهده من حالة الوادي في انبساطه واتساعه وقلة حركته ، وفي ضيقه وكثرة صياحه وانزعاجه فقال الشيخ ذلك مثل الفقير فمتى كان واسع الصدر قلّ صياحه ومتى كان ضيق الصدر كثر صياحه قال فلم يسمع لذلك الفقير صياح بعد ذلك

قال الحاج يحيى وكان للشيخ شماس ولد اسمه احمد فيقعد الفقراء في الزاوية كل واحد في موضعه فتعرض حاجة للشيخ شماس فيحتاج فيها الى تصرف ابنه احمد فيقول يأحمد فيظن احمد بن الخطيب انه يريده ، فيقول لبيك ، فيقول الشيخ انما اردت ابني فطال الأمر على ابن الخطيب فلما كثُر عليه ذلك قال ياسيدي ما الذي حملك على ان سميت ابنك احمد هلا سميته ميموناً او مرزوقاً او خليفة ، او غير ذلك من اسماء الحبشة . فضحك الشيخ وقال له : صدقت .

قال الحاج قال لي اصحاب الشيخ يوسف كان الشيخ يقول لنا انه سيرد عليكم رجل من المغرب هو وارث مقامي ، فلما ورد علينا ابن سبعين خلناه ذلك الرجل الذي ذكره الشيخ فأخذنا معه في الكلام ، فوجدناه كالفرس الرائض لا يرده شيء فلما اخذنا معه في منازلة الأحوال ، وجدناه ينكرها فعلمنا انه ليس هو الذي اخبر به الشيخ

قال المؤلف ما زال الحاج يحيى بعد رجوعه من الشرق يتجر ويحاول تنمية التجارة فما يعود عليه كبير نفع من ذلك بل تلف كل ما كان بيده من المال مما اعطاه له محمد بن علي المعروف بالفطوط وتداين بعد ذلك فما لاحت عليه بارقة ، فقال اتعبت نفسي باطلا والله ما نلت من الدنيا غير الفقر ، فان آخر ما عاهدت عليه الشيخ شماس عند وداعي له الخروج من الدنيا فعاد الى لبس المرقعة والتعيش بالفتوح وما زال كذلك حتى مات ببادس حرسها الله ورحمه وعفا عنه

وفي حاله قلت

| | |
|---|---|
| سُقي المدام فدام ثاني عطفه | عن وجده يرجو تبرع عطفه |
| رقت فراقت في زجاجة قلبه | بسنى ينافي البرق حالة خطفه |
| لما تلطف في السؤال تواضعا | اعطاه ما قد شاءه من لطفه |
| وأحلّه روض المعارف قاطفا | زهرا جنيا لا يهاج بقطفه |
| بشرى نديم يستدام وصاله | اثنى هواه على ثني عطفه (159) |

## فصل

46 ــ ومنهم السابق في حلبة العراب المؤثر للمجاورة والاغتراب المبرز في انقطاعه عن الأقران والأتراب المباعد كل هماز والنائي عن كل لماز الشيخ الحاج احمد بن محمد بن عبد الله ابن الغماز وهو اخو الحاج

159) من بحر الكامل .

الفقيه يوسف بن محمد بن عبد الله ابن الغماز الذي قدمنا ذكره وهو قد كان حج قبل اخيه يوسف ويوسف اكبر منه سنا تغرب عن وطنه مدة مديدة وانقطع مجاوراً بمكة سنين عديدة وتقرب الى الله تعالى بكل طريقة سديدة وقد قيل ان التصوف تقرب وتغرب

وكان طول مجاورته بمكة يتسبب فيها بالخياطة وحج اولا فأقام بالبلاد الحجازية مجاوراً سنين ثم عاد الى بادس فأقام بها سنيات ، ثم رجع الى مكة فما زال مجاوراً حتى مات رحمه الله تعالى

سمعته يقول كنا ببرقة في جمع من الحجاج فأتينا الى بئر بها فلم نجد عليها دلواً وكان معنا عجوز صالحة فحاولت ان وصلت في ركوتها خيوطا كانت عندها وادلت الركوة في البئر ، والغالب انه قال في ماجل (160) ـ وهو الجب (161) قال فلما همت بنزع ركوتها من الماجل ، انقطع الخيط وبقيت الركوة في قاع الماجل قال فرفعت العجوز طرفها الى السماء وقالت اللهم رد علي ركوتي فأرسل الله بماء وابل كثير فجرت منه التلاع الى الماجل فامتلأ من حينه وصعدت الركوة على وجه الماجل فأخذتها واخذنا نحن حاجتنا من الماء وانصرفنا معترفين بفضل العجوز شاهدين من كراماتها ما قضينا به العجب وقد حكى كرامات كثيرة مما شاهد في المشرق وتركنا ذكرها اذ هي عن اقوام مجهولين ونحن انما قصدنا التنبيه عما كان ببلاد الريف لا غير ولو تقصينا الكرامات عن اهل المغرب كلهم لأتى الكتاب في اسفار ، ولكن يكفي من القلادة ما احاط بالعنق (162)

وانشدت في قصة العجوز

| | |
|---|---|
| علم الاله الصدق من احوالـه | فأجابه عند انتهاء سؤالـــــه |
| وامده بالغيث يجري سيبـه (163) | في سبسب (164) قد خيف من اهواله |

160) الماجل كل ماء في اصل جبل او واد
161) الجب البئر العميقة الحفرة
162) مثل يضرب للقناعة بالقليل
163) السيب المطر الجاري
164) السبسب : المفازة .

فطفت بأعلا البئر ركوته علـــى قدر اتاه به دعا اقوالـــه
فاعجبْ فليس بمدرك ذا منفـــق قد حاز ملء الأرض من امواله (165)

**قال المؤلف رحمه الله**

وهنا وقف طرف القلم وانتهت مادة الكلم فيما قصدت اليه من التعريف بصلحاء الريف نسألك اللهم بجملتهم ان تدخلنا في زمرتهم ومن الله اسأل الثواب الجسيم ان يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم وابتدأته في صدر سنة احدى عشرة وسبعمئة ونجز في آخرها وانتسخت هذه النسخة من مسودته بعد تحررها واعادة النظر فيها برسم خزانة الشيخ الفقيه الرئيس الحسيب المجيد الشجاع المحسن المتفضل المتفنن ابي فارس عبد العزيز ابن الشيخ الحسيب المعظم الأكمل الأفضل ابي العلاء صاعد ابن ابي الوليد اسماعيل بن صاعد الجهني ادام الله اعتناءهم بالعلم واهله واحلهم في رياسته الصاعدية الصاعدة بلين العيش وسهله ولا زالت رياح مواهبهم فاتكة بعناد كل مناوٍ (166) وجهله فما زالت رياستهم العالية في معارج المكارم متعالية وايادي فضائلهم الجسيمة على كل عالم وعالم متوالية وايالة امارتهم السعيدة وولايتهم الظاهرة على قواعد بلاد المغرب والية لما علم الله من تعدد مآثرهم وقلة مكابرهم ومكاثرهم فزاد الله الرئيس ابا فارس سعدا يسمو ويزيد من غير تناه في المزيد ورفعته الى خزانته المباركة بحضرة مدينة فاس ـ حرسها الله تعالى ـ وهو واليها والمستقل بتنظيم سلك لاليها وقد انتظم من سلك ولايته مضافا اليها مدينة سلا مهدها الله تعالى واسعده بولايتها وجعل اليمن فيها قائده والريح رائده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الى يوم الدين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين (167)

---

165) من بحر الكامل

166) ناواه مناواة عاداه واصله الهمز ناوأه فهو مناويء

167) هذه الزيادة ( وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ) ـ انفردت بها نسخة ص .

# فهـارس

## كتاب المقصد الشريف ، والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف

1) فهرس اقسام الكتاب وفصوله وتراجمه
2) فهرس الآيات القرآنية
3) فهرس الأحاديث النبوية والآثار
4) فهرس المصطلحات الصوفية
5) فهرس الأعـــلام
6) فهرس الشعوب والقبائل والطوائف
7) فهرس البلدان والأماكـــن
8) فهرس الشعـــر
9) فهرس الكتب الواردة في المـتـن
10) فهرس مصادر التحقيق

# 1 – فهرس اقسام الكتاب وفصوله وتراجمه

## 2 ـ فهرس الآيات القرآنية

## 3 ـ فهرس الأحاديث والآثار

# 4 ـ فهرس المصطلحات الصوفية

## 5 - فهرس الأعلام

## 6 - فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

## 7 ـ فهرس البلدان والأماكن

## 8 ـ فهرس الشعر

| صدر البيت | قافيته | عدد الأبيات | القائل | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| علم اليقين | وحقه | | المؤلف | 82 |
| ان المكارم | موفقا | 5 | المؤلف | 93 |
| من سره | ويجود | 4 | المؤلف | 94 |
| القت | ذمامها | 8 | المؤلف | 96 ـ 97 |
| والبحر | كابر | | المؤلف | 98 |
| شمس | تمسى | 7 | المؤلف | 102 |
| من حل | بالاسرار | | المؤلف | 204 |
| اهل | باهر | 5 | المؤلف | |
| ظهرت | خلواته | 5 | المؤلف | 107 |
| إني اراك | ومحارب | 6 | المؤلف | 108 ـ 109 |
| كنا | نهارا | 5 | المؤلف | 110 |
| العالم | مكان | 6 | المؤلف | 112 |
| راموا | مانعا | 6 | المؤلف | 113 |
| ابدى | حلالا | 9 | المؤلف | 117 |
| هجر | سربه | 7 | المؤلف | 119 ـ 120 |
| بز الجياد | فتعالى | 4 | المؤلف | 121 |
| هانت | اهانها | 5 | المؤلف | 122 |
| وحقيقة | اسبابه | 4 | المؤلف | 125 |
| علم الكلام | مقباسه | | المؤلف | 126 |
| ما انفك | ثوابه | 5 | المؤلف | 127 ـ 128 |
| من صدقه | غايات | 6 | المؤلف | 129 ـ 130 |
| هامت | يحلو | 3 | المؤلف | 131 |
| كتاب الله | الخلاص | 3 | المؤلف | 133 |
| حفظ الاله | متقلصا | 4 | المؤلف | 134 |
| تسديده | حاضرا | 3 | المؤلف | 135 |
| الليل | المسفر | 4 | المؤلف | 137 |

| صدر البيت | قافيته | عدد الأبيات | القائل | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| بحر المعارف | المتوسما | 4 | المؤلف | 138 ــ 139 |
| الـف | خصالها | 7 | المؤلف | 140 |
| حسـن | نالـه | 3 | المؤلف | 142 |
| ظهرت | وطراده | 7 | المؤلف | 143 |
| ورث | اقتضى | 5 | المؤلف | 146 |
| سقـي | عطفه | | المؤلف | 149 |
| علم الاله | سؤاله | 4 | المؤلف | 150 ــ 151 |

## 9 ــ فهرس الكتب الواردة في المتن



## 10 ــ فهرس مصادر التحقيق


ــ اثبات كرامات الأولياء لابن سبع السبتي ــ مخطوط الخزانة العامة بالرباط
ــ الاحاطة في اخبار غرناطة لابن الخطيب ــ تحقيق محمد عبد الله عنان
ــ الاستقصا في اخبار المغرب الأقصى ــ لأحمد الناصرى
ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر
ــ الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام ــ لعباس بن ابراهيم السملالي
ــ البداية والنهاية لابن الأثير
ــ بغية الملتمس للضبي
ــ البيان المغرب لابن عذارى .

- تاج العروس للشيخ مرتضى الزبيدي
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
- الترغيب والترهيب للمنذري
- تذكرة الحفاظ للذهبي
- التشوف الى رجال التصوف - لابن الزيات
- التعريفات للجرجاني
- التعريف والاعلام - للسهيلي
- تفسير ابن كثير
- التكملة لابن الأبار
- تلبيس ابليس لابن الجوزي
- التمهيد لابن عبد البر ( الأجزاء المطبوعة )
- جامع البيان لابن جرير الطبري
- الجامع الصغير للسيوطي
- جذوة الاقتباس لابن القاضي
- جمع الجوامع للسبكي
- حسن المحاضرة للسيوطي
- الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية - لشكيب ارسلان
- حلية الأولياء لابي نعيم الاصبهاني
- خلاصة تهذيب الكمال للأنصاري
- دائرة المعارف الاسلامية
- دليل مؤرخ المغرب - لعبد السلام ابن سودة
- الديباج المذهب لابن فرحون
- ديوان سقط الزند للمعري
- الرسالة القشيرية
- الرسالة لابن ابي زيد القيرواني
- سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني
- شجرة النور الزكية لمحمود مخلوف
- شذرات الذهب لابن العماد
- شرح الزرقاني على الموطأ
- شرح سينية ابن بادس لأبي العباس الورديني ( مخطوط خاص )
- شفاء السائل لابن خلدون
- الصلة لابن شكوال
- طبقات الشافعية الكبرى للسيوطي.
- طبقات المفسرين له ايضا
- الطبقات الكبرى للشعراني
- العبر في خبر من غبر للذهبي
- عوارف المعارف للسهروردي
- فوات الوفيات لابن شاكر
- فيض القدير على الجامع الصغير للمناوي
- قضاة قرطبة لعلي النباهي
- معالم الايمان لابن الدباغ
- معجم البلدان لياقوت الحموي
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لعبد الباقي
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد
- مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده
- مقدمة ابن خلدون
- نفح الطيب لأحمد المقري
- نهاية الأندلس لمحمد عبد الله عنان
- نيل الابتهاج لأحمد بابا
- الوافي بالوفيات للصفدي

- وفيات ابن قنفذ
- يتيمة الدهر للثعالبي
- وفيات الأعيان لابن خلكان

## جدول الخطأ والصواب

| ص | س | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| 6 | 11 | ويحيـى | يحيى |
| 16 | 1 | فأنـت | فاتـت |
| 28 | | وتـدلاء | وبـدلاء |
| 34 | 15 | او الجاحدين | اول الجاحدين |
| 52 | 17 | جمنـه | جبتـه |
| 54 | 8 | أولاد يوسف | اولاده يوسف |
| 57 | 12 | حسـن | حسون |
| 62 | 16 | ابوه داود | ابوه ابو داود |
| 62 | 16 | ومات ابوه داود | ومات ابوه ابو داود |
| 64 | 14 | ومقيـد | ومفيـد |
| 66 | 5 | نقـرت | نفـرت |
| 68 | 19 | الجماعة | المجاعة |
| 76 | 15 | قـوس | قوص |
| 80 | 12 | الصفـا | الصفاء |
| 91 | 7 | ببلادنا | ببلاد |
| 98 | 13 | فرفعوا | فدفعوا |
| 99 | 14 | سيدي يعقوب | سيدي ابي يعقوب |
| 103 | 13 | اسفاطا | اسقاطا |
| 104 | 8 | غـرم | عـزم |
| 104 | 8 | الاصرار | الاضرار |
| 104 | 14 | ومنهم | 19 - ومنهم |

| ص | س | الخطا | الصواب |
|---|---|---|---|
| 108 | 2 | المقتصى من زيغة | المتفصي من زيغة |
| 111 | 18 | ابا اسماعيل | أبي اسماعيل |
| 117 | 3 | محدم | محمد |
| | 5 | سيد عبد الله | سيدي ابي عتد الله |
| 124 | 2 | المفترس | المفترش |
| 134 | 10 | المرور | الروم |
| 138 | 6 | جهوده | حدوده |
| 139 | 13 | يصل | يصلي |

# LES SAINTS DU RIF

par

**Abdelhaq EL-BADISY**



**2ème édition**

1993

IMPRIMERIE ROYALE - RABAT